تأملات

في مزامير الاجبية

الكتاب الأول

فى

صلاة الغروب

لقداسة البابا شنوده

Contemplations on *the psalms*
Of the sun-set prayer (vespers)
By h.h pope shenouda iii

5th print

الطبعه الخامسة

سبتمبر 1988

Sep01988
Cairo

القاهرة

الكتاب : تأملات فى مزامير الأجبية (صلاة الغروب)
المؤلف : قداسة البابا شنوده الثالث
المطبعة : الخامسة سبتمبر 1988
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) العباسية – القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب : 1237 / 1969 م0

ملحوظة صورة البابا شنوده

قداسة البابا شنوده

تصدير

نقدم لك فى هذا الكتيب مثالا من التأمل فى ثلاثة فقط من مزامير الغروب ، قصدنا أن تكون من المزامير القصيرة ، حتى يسهل عليك حفظها 0
كل ما نريده أن تتدرب على فهم كلمات الصلاة بالمزامير ، وتدخل فى أعماقها ، وتفتح لها قلبك وثق أن النعمة ستفتح لك ينابيع من تأملات وقد تزيد كل يوم 000
وما هذا الكتيب إلا مجرد طرق لباب التأمل0000
انه تأملات ألقيت إلى جوار محاضراتنا سنة 1968 ، ونشرت مرتين من قبل 0ونعيد طبعها بناء على طلب من فاتهم اقتناؤها وقتذاك 0

شنوده الثالث

إليك رفعت عينى يا ساكن السماء

مز : 122 (123)

(إليك رفعت عينى يا ساكن السماء ،
فهاهما مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ومثل عينى الأمة إلى أيدى سيدتها ،
كذلك أعيننا نحو الرب إلهنا 0000حتى يتراءف علينا ،
إرحمنا يارب إرحمنا 0 فإننا كثيرا ما امتلأنا هوانا ، وكثيرا ما امتلأت نفوسنا ،
العار أردده على المخصبين ، والهوان على المتعظمين 0هللويا)

هذا المزمور ، نلاحظ فيه أنه مزمور تذلل، تذلل أمام الله وإنسحاق 0

إنه مزمور لإنسان يرفع عينيه إلى الله ، كما يرفع العبد عينيه نحو سيده 0 ويقول له : (إننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا ، وكثيرا ما إمتلأت نفوسنا) إمتلأنا هوانا يعنى (إمتلأنا ذلا يعنى نفس تعبانة ومنسحقة0واقفة تكلم الله

ومن الجائز أن هذا الذى إمتلأ به ، يكون أحد نوعين من الذل :

إما ذل الخطية التى أتعبت النفس 0يعنى الشياطين أذلوه ، فامتلأ هوانا 0 وسقط 0 ونتيجة لهذا يحاول أن يقف أمام الله فى إنسحاق ، ويترجاه 0وإما أنه إنسان مذلول من الأعداء والمقاومين0 فحالما شعر بالتعب ، وإمتلأت نفسه هوانا ، إتجه إلى الله وقال له :

أنا إلتجأت إليك 0لست مثل آدم الذى لما أتعبه الشيطان وأذله ، فسقط ، إختبأ منك وخاف ، وابتعد عنك ! 00لا ، بالعكس 0أنا لما أتعب وأسقط ، أرفع عينى إليك 0000

رفعت عينى إليك ، لأنى لم أجد على الأرض معونة 0000

بل وجدت تجارب وضيقات ، ووجدت التعب والألم 0فإليك رفعت عينى يا ساكن السماء ، لأن السماء فيها رحمة ، وفيها عدل من الظلم الذى على الأرض 00000وهكذا عندما تفشل النفس البشرية ، تلجئ إلى الله وتقول له : (انظر إلى ذلى ومسكنتى وارحمنى) 0أنت (معين من ليس له معين ، ورجاء من ليس له رجاء ، وعزاء صغيرى القلوب ، ميناء الذين فى العاصف) وإذ قد فشلت على الأرض ، لا أجد إلا ساكن السماء ، لأقول له :

إليك رفعت عينى :

- عندما لا أجد عونا من البشر ، أرفع عينى إليك أنت يا من كلك محبة ، يا من لك القوة والقدرة ، لان غير المستطاع عند الناس هو مستطاع عندك (لو 18 : 27)
- وعندما أتعب من مضايقات الناس ، أرفع عينى إليك ، أنت يا مصدر العدل ، يا من تحكم للمظلومين 0 أنت الذى ترى التعب الذى أنا فيه ، والذل الذى أنا فيه ، (لأننا كثيرا ما امتلأنا هوانا) 000
- وعندما تضغط الخطية ، ولا أجد نصرة ، ويفشل الجهاد ويشل الإرشاد ، أرفع عينى إليك ، أنت الذى من عندك المغفرة ، وأنت الذى تنضح على بزوفاك فأطهر وتتوبنى فأتوب (ار 21 : 18)

هناك أشخاص عندما تصدمهم المشاكل يفكرون فى حلها بطرق أرضية بشرية 0وهناك أشخاص آخرون يرفعون أعينهم إلى فوق 000

لذلك ، عندما تعجز كل طرقك البشرية ، عندما يتعب ذراعك البشرى : وعندما يتخلى عنك كل أصدقائك البشريين أو عندما يفشلون فى معونتك ، اصرخ حينئذ وقل :

(إليك رفعت عينى يا ساكن السماء) والأفضل من هذا كله ، ألا تنتظر حتى تتعب 0 بل وفر تعبك على الأرض ،ومن بادئ الأمر ، إرفع نظرك إلى فوق ، وقل : (إليك رفعت عينى يا ساكن السماء)

إنه توجيه جميل يلفت به الأب الكاهن أنظار الشعب المصلى أثناء القداس الإلهى ، فيقول لهم :

(أين هى قلوبكم ؟) 0000

فيجيبون جميعا : (هى عند الرب) 000 إطمئن يا أبانا الكاهن ، فنحن ناظرون إلى فوق 000 الله وحده يعلم أين تكون قلوبنا فى ذلك الوقت 0ولكنها على الأقل تذكره لازمة لنا لكى نرفع قلوبنا وعيوننا وأفكارنا إلى فوق 0000متذكرين قولنا إلى الآب عن ربنا يسوع المسيح نفسه (ورفع نظره إلى فوق ، إلى السماء إليك)

وفى معجزة إشباع الجموع من الخمس خبزات ، يقول عنه الكتاب أيضا :

(ورفع نظره نحو السماء) (لو 9 : 16)

تأملوا كيف أنه لما حاصرت جيوش العدو مدينة السامرة : نظر حيجزى إلى الأرض فرأى خيول العدو ومركباته ، فارتعب 0أما اليشع رجل الله فنظر إلى فوق ، وحينئذ قال لجيحزى : (لا تخف ، لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم) (2مل 6 : 16) وإذا الجبل مملوء خيلا ومركبات نار حول اليشع 000

ليس فى حالة طلب المعونة فقط نرفع أعيننا إلى ساكن السماء ، بل فى كل حين ، فى وقت الصلاة وفى غير وقت الصلاة ، باستمرار نجعل عيوننا متعلقة بالرب 0

صدقونى ، لو جعلنا هذا المبدأ باستمرار ، ما كنا نستطيع مطلقا أن نخطئ ، شاعرين أن الرب أمامنا فى كل حين 000

إننا نخطئ لأننا نظراتنا كلها مركزة فى التراب ، فى الجسد وفى المادة 0 كل الذي يشغلنا هو شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة (1يو 2 : 16)

إن حاربتك خطية ، وأتعبتك جدا ، وعندئذ نظرت إلى فوق ، فلابد أنك ستخجل ولا تستطيع أن تكمل الخطية 0 ستقول : (هوذا الله يرانى 0كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله ؟)

(تك 39 : 9) وهكذا تنسحق نفسك ، وتخاف الله الذى يقول لك : (أنا عارف أعمالك) (رؤ 3 : 1)

وفى نفس الوقت الذى تقول فيه وأنت منسحق : (إليك رفعت عينى يا ساكن السماء) يكون ساكن السماء أيضا ناظرا إليك 0

لأنه هو (ساكن فى الأعالى ، والناظر إلى المتواضعات) (مز 112) إن المنسحقى القلوب ، هم الذين ينظر إليهم الله ، لأنه هو نفسه الذى قال : (إلى هذا أنظر : إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامى) (إش 66 : 2) إلى هذا المسكين المذلول الذى لا يثق بقوته ، الذى يصرخ فى كل حين : (إليك رفعت عينى يا ساكن السماء)

يا ساكن السماء :

صحيح أن ربنا الآب المحب ، المحبوب من الجميع 0ونحن عندما نصلى نقول له : (يا أبانا) ولكن محبة الله لا تمنع ما يليق به من مهابة وتوقير 0من أجل هذا عندما نصلى ، لا نقول فقط يا أبانا ، لكن نقول : (أبانا الذى فى السموات) 000

عبارة (الذى فى السموات) تعطينا فكرة عن كرامة الله 0وعن مهابة الله ، وعن أن أبوته لا تمنع أنه رب واله وخالق ، وله كل مجد واكرام وعز وسجود 000

نرى أن الشاروبيم والسارافيم لا يقدرون أن يرفعوا عيونهم إلى الله من فرط هيبته 0فبجناحين يغطون وجوههم) من هيبة الله 0 ولذلك فإن الشماس على المذبح ، لما يتذكر هذا الموقف ، يمسك بلفافة ويبسطها أمام عينيه ، إعترافا بأنه لا يقدر أن يرفع عينيه أمام مجد الله

عندما يهاب إنسان شخصا ، فانه لا يجرؤ أن يرفع عينيه إلى وجهه 000

ولذلك فالشيخ الروحانى فى كلامه عن أدب المبتدئين فى الرهبنة ، يقول عن الراهب المبتدئ : [ولا يملأ عينه من وجه إنسان] معناها أنه ينظر النظرة التى فيها شئ من الخجل والتى فيها شئ من الحياء ، بسبب هيبة من يقف أمامه

والأنبا بيجيمى السائح ، يقال عنه انه فى بادئ حياته الرهبانية فى المجمع ، قضى 28 سنة مع الشيوخ [لم يرفع عينيه خلالها ليتأمل وجه واحد منهم] كان ينظر إليهم بهيبة وخشية واستحياء يليق بالأدب 0

إذن ممكن من جهة الهيبة والتوقير لا يستطيع الإنسان أن يرفع عينيه 0كذلك فى حالة الخجل من الخطية لا يستطيع الإنسان أن يرفع عينيه 0

نلاحظ هذا فى الرجل العشار المنسحق النفس ،عندما دخل إلى الهيكل ليصلى ، يقول عنه الكتاب إنه (وقف من بعيد ، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء 0بل قرع على صدره قائلا : اللهم إرحمنى أنا الخاطئ) (لو 18 : 13)

وإشعياء النبى لما رأى الرب على عرشه محاطا بالسارافيم ، قال : (ويل لى إنى هلكت ، لأنى إنسان نجس الشفتين) (إش 6 : 5) ويوحنا الحبيب الذى كان يتكئ على صدر المسيح عندما رأى الرب فى سفر الرؤيا ، وقع على الأرض مثل ميت من هيبة الرب الذى كان وجهه (مثل الشمس وهى تضئ فى قوتها) (رؤ 1 : 16 ، 17)

إذن هناك أوقات فيها هيبة الله تتملك الإنسان ، وينظر إلى الله كما ينظر العبيد نحو أيدى مواليهم ، وكما تنظر الأمة نحو يدى سيدتها

ولماذا تعجب من هذا ، والأمثلة كثيرة 000؟

دانيال النبى فى إحدى الرؤى التى رآها ، وأتاه جبرائيل الملاك ليفسرها له ، يقول :

(ولما جاء خفت وخررت على وجهى إلى الأرض 0فلمسنى وأوقفنى على مقامى)

(دا 8 : 17 ، 18) 0وبعدما شرح له الرؤيا ، ختمها النبى بقوله :

(وأنا دانيال ضعفت ونحلت أياما ، ثم قمت وباشرت أعمال الملك)

فإن كان دانيال العظيم يحدث له هذا ، ألا يتملكنا نحن الخشوع فى حضرة الرب ؟! كثيرا ما كانت هيبة الرب تملك القديسين ، فيرفعون عيونهم نحوه ، مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم

إبراهيم أبو الآباء ، لما وقف يكلم الله ، قال له بنفس الإنسحاق :
(إنى قد شرعت أكلم المولى ، وأنا تراب ورماد!!) (18 :27) وهكذا فى حضرة الرب شعر أنه تراب ورماد وهو خليل الله وحبيبه 000

وأيوب النبى فى تفاهمه مع الرب ، تكلم بنفس الأسلوب وقال له :
(ها أنا حقير ،فبماذا أجاوبك ؟! وضعت يدى على فمى 0مرة تكلمت فلا أجيب ، ومرتين فلا أزيد ولكننى قد نطقت بما لم أفهم ، بعجائب فوقى لم أعرفها 000بسمع الأذن قد سمعت عنك ، والآن رأتك عينى 0لذلك أرفض وأندم فى التراب والرماد) (40 : 4 ، 5 ، 42 :3-6)
إن هذا النبى العظيم – مثله مثل أبينا إبراهيم – عندما وقف يكلم الله ، وجد نفسه مجرد تراب ورماد

إننا كثيرا ما نتجرأ جدا فى الصلاة ، أكثر ما يجب !! بينما ينبغى أن يكون فى صلاتنا عنصر الخشوع والإنسحاق 0
إن القديس باسيليوس الكبير ، عندما شرح فى نسكياته آداب الحديث مع الله ، قال :

[إختر القول اللائق ، وقل هكذا : (أباركك أيها الرب الرحوم الطويل الأناة ، لأنك تأنيت على وأنا أخطئ كل يوم 000) فإذا مجدته بتسابيح من الكتب كما تقدر ، فحينئذ تبتدئ بتواضع قائلا (أنا لا أستحق يارب أن أفتح فمى أمامك ، لأنى خاطئ جداً) قل هكذا ، حتى لو كانت سريرتك لا تبكتك على شئ من الشر 0لأنه ليس أحد بلا خطية إلا الله وحده ، ولأننا كثيراً ما نخطئ مرات عديدة وتنساها قلوبنا] وإذا ما قلت كلاماً ، فقله بتواضع هكذا : [أشكرك يارب لأنك طولت روحك على خطاياى ، وأمهلتنى بغير عقوبة إلى الآن ، وأنا مستحق كل عذاب فى مقابل خطاياى]

ومن أجمل الكلمات فى عنصر الخشوع هذا (صلاة الاستعداد)
فى بداية القداس الإلهى ، وفيها يقول الأب الكاهن الذى هو شفيع للناس أمام الله 000
(أيها الرب العارف قلب كل أحد ، القدوس المستريح فى قديسيه 000أنت يارب تعلم أنى غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب 0وليس لى وجه أن أقف وأفتح فاى أمام مجدك الأقدس بل ككثرة رأفاتك أغفر لى أنا الخاطئ ، وامنحنى أن أجد نعمة ورأفة فى هذه الساعة) تأملوا الكلام ، وروح الإنسحاق التى فيه 000(ليس لى وجه ، أن أقف وأفتح فاى) أما نحن فنصلى بجرأة كبيرة فى كلامنا مع الله !

صحيح أن ربنا حنون ، وصحيح أن ربنا طيب ، وصحيح أن ربنا يحبنا أكثر مما تحب الأم رضيعها0**ولكن لا يصح – فى جو هذه المحبة – أن ننسى أنفسنا ،وننسى أننا تراب ورماد** 000
إننا كلما نتذلل أمام الله ، نأخذ من ربنا أكثر ، ونتمتع بمحبة ربنا بالأكثر 000إن كان القديس بطرس الرسول لما تذكر خطيته بكى بكاءاً مراً ، فماذا نفعل نحن إذن ؟!
هوذا المرتل لم أحس بالهوان الذى هو فيه ،صرخ قائلا :
(إليك رفعت عينى يا ساكن السماء 0 فهاهما مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ، ومثل عينى الأمة نحو يدى سيدتها)

عيون العبيد :

هل مثل عينى العبد نحو يدى سيده يطلب منه شيئاً ، أو مثل عينى العبد الذليلتين المكسورتين ، اللتين لا يمكن أن ترتفعا حتى تصلا إلى وجه المولى ، بل بالكاد يصل نظرهما إلى يديه ؟000
وهكذا يقول المصلى للرب : (إليك رفعت عينى000) فماذا أقول ؟! هوذا أنا خاطئ ومسكين قدامك وغارق فى الخطية حتى أذنى 0فماذا أقول لك يارب ؟ إننى الآن صاعد إلى بيتك ،
أرتل هذا المزمور من ترانيم المصاعد 0ولكنى لا أستحق أى شئ أمامك يستد كل فم 0ليس لى وجه أن أقف وأفتح فاى

وعندما يستد الفم ، ترتفع العينان فى مذلة أمام الله حتى من غير كلام 0وبدون كلام يفهم الله جيدا لغة العينين 0

وبخاصة العينين اللتين تنظران إليه ،مثل عينى الأمة نحو يدى سيدتها ، فى إبتهال وإنسحاق ، أو فى دموع 00
داود النبى يقول له : (إنصت إلى دموعى) (مز 39 : 12) كأن الدموع لها لغة ، ولها كلام
دموعى هذه هى فى زق عندك (مز 56 : 8) إنصت إليها ، واسمع ماذا تقول 000لأنها من عينين مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم 0000

لماذا يقول (العبيد) ونحن أبناء ؟!

إن الله يسمينا بنين وليس عبيداً، فلماذا نقول : (مثل عيون العبيد) ؟ حتى الإبن الضال ، لم ينزع منه لقب البنوة على الرغم من سقوطه ! فقال : (إبنى هذا ، كان ميتا فعاش ، وكان ضالا فوجد) (لو 15 : 24) 0

ولقب البنوة هذا لم يطلقه الرب علينا فى العهد الجديد فقط ، وإنما منذ العهد القديم أيضا 0

فيقول فى سفر إشعياء النبى : (ربيت بنين ونشأتهم 0 أما هم فعصوا على) (إش 1 :2)
بل إن هذا اللقب أقدم من زمن إشعياء بكثير 0انظروا ماذا يقول الكتاب عن خطية البشر قبل الطوفان إنه يقول : (رأى أبناء الله بنات الناس أنهن حسنات) (تك 6 : 2)
لماذا نقول إذن عن عيوننا المرفوعة إلى الله ، إنها عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ؟! سأقول لكم لماذا :

إن المصلى يقف هنا ذليلا أمام الله ، كخاطئ 0يقول له فى إنسحاق : (لست مستحقا بعد أن أدعى لك أبنا إجعلنى كأحد أجرائك) (لو 15 : 19)

أنا جاى لك يارب ، وأنا عارف أنا مين 0أنا جاى لك يا فاحص القلوب والكلى ، يا قارئ الأفكار0أنا قصادك مكشوف ومكسوف 0مكشوف لأنى عريان قدامك ، وكل خطاياى واضحة وظاهرة وتتقدمنى للحكم 0عارف ضعفاتى ، وعارف نقائصى ، وعارف سقطاتى ، وعارف نجاساتى0عارف كل حاضرى وماضى ، ولست مستحقا أن أدعى لك إبنا 000أنا أنظر إليك كما ينظر العبيد إلى مواليهم ، وكما تنظر الأمة إلى يدى سيدتها 000
إذن عنصر التذلل بسبب الخطيئة يجعلنا نستعمل هذا التعبير (عيون العبيد) على أن هناك نقطة لا يصح أن ننساها وهى :

إن كون الرب الإله أباً لنا ، لا يمنع مطلقا من أن يكون سيدا 0بل إن كلمة (رب) معناها أيضا (سيد)

وكان القديسون يصلون إلى الله ، ويقولون له أيضا يا سيد 0وهذا واضح جداً فى صلاة دانيال النبى المشهورة (دا9)إذ يقول للرب : (لك يا سيد البر ، أما لنا فخزى الوجوه 000يا سيد ، لنا خزى الوجوه ، لملوكنا لرؤسائنا ولآبائنا ،لأننا أخطأنا إليك 0000
يا سيد ، حسب كل رحمتك اصرف سخطك وغضبك 000) إلى أن يقول فى آخر صلاته
(يا سيد اسمع ، يا سيد اغفر ، يا سيد فهل أنت يارب عندما تقول لنا يا أولادى ، ننسى أنك سيد لنا وإله ورب ؟! كلا ، إننا لا ننسى مطلقا 0000

بل إننا نقول عنك فى صلواتنا وقراءاتنا :

(ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح)

ليس هذا من جهتنا فقط فى صلواتنا ، بل إن السيد المسيح نفسه بعد أن غسل أرجل تلاميذه ، قال لهم : (أنتم تدعوننى معلما وسيدا ، وحسنا تقولون لأنى أنا كذلك 0فان كنت – وأنا السيد والمعلم – قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض 000الحق الحق أقول لكم انه ليس عبد أعظم من سيده 000) (يو 13 : 13 –16)

والقديس بولس الرسول العظيم والإناء المختار ، يبتدئ رسالته إلى أهل رومية بقوله :
(بولس عبد يسوع) (رو 1: 1) 0فهل فى هذا قد فقد بنوته ؟! حاشا ، انه لم يفقدها 0 ولكننا أولاد الله ، وفى نفس الوقت هو سيدنا وخالقنا وربنا وإلهنا وملكنا ، ونحن عبيده 000ولنتأمل هذه العبارة فى الأسفار المقدسة

عبارة (عبيد) :

لما ذكر الرب مثل العرس والمدعوين ، إستخدم عبارة (العبيد) مرات كثيرة 0وماذا يقصد بكلمة (عبيد) ؟ كان يقصد الأنبياء والرسل وتلاميذه القديسين ، فقال : (يشبه ملكوت السموات إنسانا ملكا صنع عرسا لأبنه 0وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس فلم يريدوا أن يأتوا فأرسل عبيداً آخرين 0000) إلى أن يقول : (أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم 000) (مت 22 : 1 – 8)

فإذا كان الرسل والأنبياء القديسون تسموا عبيداً ، فنحن ماذا نكون ؟!كثيراً أن نرفع

عيوننا مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ؟

وليس الرسل فقط تسموا عبيداً ، بل إن الأبرار القديسين سيقول الرب لكل واحد منهم فى اليوم الأخير (نعما أيها العبد الصالح والأمين 0كنت أمينا فى القليل 0فسأقيمك على الكثير 0أدخل إلى فرح سيدك) (مت 15 : 21 –23) 0
فإن كان هؤلاء القديسون الذين تاجروا فى وزناتهم وربحوا ، دعوا عبيداً ، فلنرفع نحن عيوننا إلى ساكن السماء كما يرفع العبيد عيونهم نحو أيدى مواليهم ، ويقول له كل واحد منا : أنا يارب خاطئ ومكسوف من صلاحك الذى لا يتفق مع خطيتى 0فى كل يوم أصلى إليك وأقول :
(قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت) وأنت أيها الرب القدوس تنظر خطيتى 0لذلك أنا مكسوف وخجلان 0

مكسوف من خطيتى عندما تواجه قداستك غير المحدودة 0أنظر إليك وأنا خاطئ ، كما ينظر العبيد نحو أيدى مواليهم ، وأقول : (لست مستحقا أن أدعى لك إبنا 000)

أنت تقول إنى إبنك ، وأنا أناديك أبانا 0ولكن لأبد أن يكون إبنك على صورتك ومثالك 0وأنا فقدت الصورة المقدسة التى خلقتنى بها عندما كونتنى على صورتك 0فبماذا أخاطبك وقد كسرت وصاياك ، وأخطأت وأذنبت أمامك ؟! أنا غارق فى خجلى 0ومركز الإبن هذا ، أنا لا أستحقه 0000

أمامنا ملك نينوى كمثال :

ماذا فعل ذلك الملك ، عندما أحس بخطيئته بعد مناداة يونان ؟ طرح صولجانه وتاجه ، وجلس على التراب والرماد وتغطى بالمسوح ، ولم يأكل شيئاً

(يون 3 : 6) ما لك أيها الملك ؟ إننا نسمعه يجيب : [أنا لست أمام الله ملكاً 0أنا أمامه لا شئ0أمامه أنا مجرد إنسان خاطئ ، أجلس على التراب والرماد ،وأطرح التاج والصولجان ، وأرفع عينى إلى الرب مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ، ومثل مواليهم ، ومثل عينى الأمة نحو يدى سيدتها أطلب رحمتك]

أنا خائف أيها الإخوة 0 يوم تفتح الأسفار ، وتكشف الأعمال ، وتفحص الأفكار ، كيف نغطى وجوهنا ، أو أين نهرب ؟!

هناك قوم سيقولون للجبال غطينا وللتلال إسقطى علينا (هو 10 : 8 ، لو 23 : 30) وهناك من سوف يصرخ فى رعب وحيرة : أين أختفى من روحك ؟ ومن وجهك أين أهرب ؟!

(مز 139 : 7) أفضل شئ ، هو أننى من الآن أرفع عينى فى تذلل 0فما هما مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ، ومثل عينى الأمة نحو يدى سيدتها 0فارحمنا يا الله إرحمنا 0 لأننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا ، وكثيرا ما إمتلأت نفوسنا 0000

حسن هذا التذلل ، وهذا الخشوع 0علمتنا إياه الكنيسة 0

تعلمناه فى المطانيات ، حيث يسجد الإنسان سجوداً كاملاً ويحنى هامته حتى تصل إلى الأرض إلى الأرض ، ويطلب من الله طلبة ، أو يرفع إليه صلاة 0 ينحنى فى خشوع ، فى خضوع ، فى توبة ، فى تذلل ، وقد التصقت رأسه بالتراب 0000

نوع آخر من هذا التذلل، كان موجودا فى العقوبات الكنيسة

لم يكن مصرحاً فى القديم لكل إنسان أن يدخل الكنيسة 0كان هناك خطاة تمنعهم القوانين من الدخول إلى بيت الرب 0فيقف الواحد منهم على الباب يتضرع إلى الداخلين والخارجين أن يصلوا لأجله ينظر إلى باب الكنيسة كما ينظر العبيد إلى أيدى مواليهم ، شاعراً أنه غير مستحق أن يدخل لأن المحلة يجب أن تكون مقدسة (وببيتك ينبغى التقديس يارب)

وإن سمح له أن يدخل إلى خورس الباكين والتائبين ، يقف هناك كما وقف العشار فى الهيكل ، لا يجرؤ أن يرفع عينيه إلى فوق 0 فهاهما مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ، ومثل عينى الأمة نحو يدى سيدتها

يتابع المرتل مزموره فيقول :

كذلك أعيننا نحو الرب إلهنا ، حتى يتراءف علينا :

جميلة هذه العبارة (كذلك أعيننا 000حتى يتراءف) معناها أننى سأظل هكذا يارب ، ناظراً إليك فى تذلل وإنسحاق ، كما ينظر العبيد إلى أيدى مواليهم 0واستمر فى هذا الوضع إلى أن تتراءف علينا ، إلى أن آخذ طلبتى منك ، إلى أن تغسلنى فأبيض أكثر من الثلج ، وتنضح على بزوفاك فاطهر 000

هذه الطلبة ترينا اللجاجة فى الانسحاق ، واللجاجة فى التذلل ، وكيف أن نصلى لابد يطول باله على ربنا لغاية ما يأخذ طلبه 000

إيليا النبى الجبار الذى قال : (إنه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين إلا عند قولى)
(1مل 17 : 1) والذى أرسله الرب إلى آخاب الملك قائلا له : (إذهب وتراء لآخاب ، فاعطى مطراً على وجه الأرض) (1مل 18 : 1) خر على الأرض وصلى وأرسل غلامه فلم يكن مطر فصلى النبى للمرة الثانية 0ولم ينزل المطر وصلى للمرة الثالثة ، ولم ينزل المطر 0وصلى للمرة الرابعة والخامسة والسادسة ، ولم ينزل المطر 0 ولم ييأس النبى ، ورفع عينيه إلى الرب :
(ها هما مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ومثل عينى الأمة نحو يدى سيدتها)
وصلى النبى للمرة السابعة ، وإذا (غيمة صغيرة قدر كف إنسان صاعدة من البحر) فابتهج النبى
(طيب يارب ، مبروكة منك) ثم ما لبث المطر أن إنتشر وملأ الأرض 0

هناك إنسان يصلى ، ويمل بسرعة ، ويقول : أنا [أنا صليت من أجل الموضوع ده مرة ومرتين ، وما فيش فايدة] !!

ويفتكر أن ربنا مش عايز ! لا يا أخى ، إستمر فى صلاتك ، ليس مرة واحدة ولا مرتين ، ولا عشرة ولا عشرين ، بل صل (حتى يتراءف الله علينا) حتى تأخذ طلبتك من الرب إن يعقوب أبا الآباء صارع مع الله وظل يصارعه حتى نال طلبته ، قائلا له : (لا أطلقك إن لم تباركنى)
(تك 32 : 26) وهكذا قيل له إنك : جاهدت مع الله والناس وقدرت) (تك 32 : 28)
فلنجاهد إذن مع الله ، ولنقل له كما قال المرتل :

إرحمنا يا الله إرحمنا ، فإننا كثيراً ما إمتلأنا هوانا 000

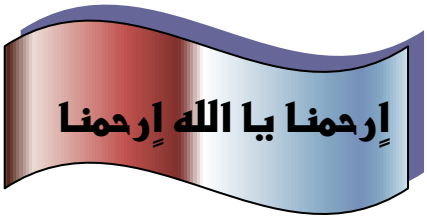

فى بادئ الأمر كانت العينان فقط تتطلعان إلى الله ، فى ذل وانسحاق ، مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ، إلى أن أتى هذا الإنسحاق بالنتيجة المطلوبة ، وقال الرب لتلك النفس المنسحقة
(حولى عينيك عنى ، فانهما قد غلبتانى) (نش 6 : 5) عندئذ بدأ اللسان يتكلم ، فاض من الذل الذى هو فيه ،فقال : (إرحمنا يا الله إرحمنا ، فإننا ما إمتلأنا هوانا)

عبارة (إرحمنا) هذه ، هى أكثر عبارة مستعملة فى الكنيسة :

*أول ما يدخل الكاهن الكنيسة ، يسجد أمام الهيكل ، ثم يرفع الستر وهو يقول :
(إيلا يصون إيماس) أى ارحمنا 0
*وعندما يبدأ صلاة المزامير يقول أولاً : (إبشويس نای نان) أى يارب إرحمنا وهكذا نبدأ الصلاة بطلب الرحمة من الرب 0
*وكل صلاة من صلوات الأجبية نقول فى مقدمتها – بعد صلاة الشكر – المزمور الخمسين

(إرحمنى يا الله كعظيم رحمتك) ونخمتها بقطعة (إرحمنا يا الله ثم إرحمنا) فطلب الرحمة نضعه فى بداية وفى نهاية كل صلاة
*وفى كل صلاة نقول (كيريا ليصون) 41مرة 0ومعناها (يارب إرحمنا) ونكرر هذه العبارة مرات عديدة أثناء القداس الإلهى وفى كل صلاة من صلوات الكنيسة الطقسية 0
*وفى رفع بخور عشية ، وفى رفع بخور باكر ، تسمعون لحناً كبيراً يصليه الكاهن وهو يمسك بيده الصليب وثلاث شمعات وأوله (أفنوتى ناى نان) ومعناها يا الله إرحمنا
*وفى رفع البخور بعدما يدور الكاهن حول المذبح ثلاث مرات ، يبخر أمام الهيكل قائلا وهو يحنى رأسه : (وأنا كمثل كثرة رحمتك ، أدخل إلى بيتك 0واسجد نحو هيكلك المقدس (مز 5 : 7)
*وكثيراً ما تسمعون الكنيسة وهى تتضرع بلحن (جى ناى نان) أى (إرحمنا) تصرخ به باللغة العربية ، وبالقبطية ، وباليونانية ، متوسلة إلى كل أقنوم من الثالوث الأقدس ، قائلة : إرحمنا 0
وفى نهاية الثلاثة تقديسات نقول : (يارب إرحم ، يارب إرحم ، يارب بارك ، آمين 0ونقول أيضا : كرحمتك يارب ولا كخطايانا 0

ليس أمامنا يارب سوى رحمتك ، نطلبها منك عشية وباكر ووقت الظهر وفى كل وقت ، لأنك أنت الوحيد الذى ترحم وأنت الذى تعرف ذلتنا ومسكنتنا ، وأننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ، وكثيراً ما إمتلأت نفوسنا 000

إن العشار بصلاته المشهورة (اللهم إرحمنى أنا الخاطئ) إستطاع أن يرجع إلى بيته مبرراً (لو 18 : 14) فارحمنى يارب لأن كل جهادى وتعبى ، بدونك لا ينفع شيئاً 0وأنت نفسك قد قلت : (بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً) (يو 15 : 15) هذه الرحمة أطلبها منك يارب كل يوم ، لأننى بدونها لا أستطيع أن أعيش 0إننى إنما أحيا برحمتك 0
(أما أنا فعلى رحمتك توكلت) (مز 13 : 5) ولذلك فرحمتك هى موضوع تسبيحى وترتيلى 0 وكما قال داود : (بمراحم الرب أغنى) (مز 89 : 1)

إن عبارة (إرحمنا) هى صوت إستغاثة من الإنسان الى الله 0

هى صوت إنسان لا يجد سوى هذه الرحمة يلجأ إليها ويحتمى فى أحضانها الدافئة ، الواسعة التى تسع الكل
غير أن هناك نصيحة هامة وخطيرة ، أقولها لكم ، وأحب ألا تنسوها مطلقاً ، وعليها تتوقف رحمة الرب لكم 000
نحن نقول : (إرحمنا يا الله إرحمنا) فيجيبنا الرب قائلاً : (طوبى للرحماء ، لأنهم يرحمون) (مت 5 : 7) هل تريدنى أن أرحمك ؟ إرحم غيرك 0أما إن كنت قاسى القلب ، فلن تجد عندى رحمة 0لأنه (بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم) (مت 7 : 2)
حسن يارب منك هذا الاتفاق ومادام بالكيل الذى نكيل به يكال لنا ، فنحن من الآن سوف لا نكيل للناس إلا بالرحمة 0سنرحم كل أحد ، فى كل عمل 0كل من يقابلنا ، وكل من يعاملنا ، سنقابله بالرحمة ، والشفقة ، والحنان ، واللطف ، والمحبة 0نرفعه فوق رأسنا ، ونضع أنفسنا تحت قدميه وننام مطمئنين إلى وعدك الصادق (بالكيل الذى تكليون يكال لكم)

نعم، عندما نصلى قائلين : إرحمنا يا الله إرحمنا) فلنسأل أنفسنا ؟أولا : هل نحن نرحم غيرنا حتى نستحق أن يرحمنا الله ؟

هل أجسر أن أستغيث بالرب قائلاً : (لأننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ، وكثيراً ما إمتلأت نفوسنا) وأنا فى نفسى الوقت أهين غيرى واتعبه !! ويصرخ هذا الإنسان إلى الله بسببى قائلا :
(إرحمنا يا الله إرحمنا 0فإننا كثيرا ما امتلأنا هوانا) !! كلا ، إن هذا الأمر لا يليق 000طوبى للرحماء ، فإنهم يرحمون

ما أجل هذا قال الرب : (أريد رحمة لا ذبيحة) (مت 9 : 13) رحمتك لغيرك أفضل عندى من ألف صلاة تقدمها وأنت قاسى القلب

لذلك رفض الرب صلوات القساة 0وقال لهم :(حين تبسطون أيديكم ، أستر وجهى عنكم 0وإن أكثرتم الصلاة ، لا أسمع 0أيديكم ملآنة دماً) (إش 1 : 15)
إن السيد المسيح عندما سأله ذلك الناموسى : (من هو قريبى) شرح له مثل السامرى الصالح الذى صنع رحمة مع جريح جاز مقابله الكاهن واللاوى 000ثم ختم الرب المثل بسؤاله عمن يكون قريب ذلك الجريح ، فأجاب الناموسى (إنه الذى صنع معه الرحمة) ، فقال له الرب :
(إذهب أنت أيضا واصنع هكذا) (لو 10 : 29 –37)
صدق سليمان الحكيم عندما قال إن : (الرحيم يحسن إلى نفسه) (أم 11 : 17) وفسر ذلك بأن الرحيم (يقرض الرب) (أم 19 : 17) وما معنى (يقرض الرب) ؟ معناها أنه يعطيه سلفة ، يستلمها منه فى السماء ، وعلى الأرض أيضا 0

لذلك إملأوا الأرض رحمة 0 إملأوا الأرض حناناً 0إملأوا الأرض حباً 0إملأوا الأرض إشفاقا0وبالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم ، رحمة وحنانا وحباً وإشفاقاً 000

إن معلمنا يعقوب الرسول عندما تكلم عن الحكمة التى من فوق قال إنها مملوءة رحمة وأثماراً صالحة وقال أيضا إنها : (مسألة مترفقة مذعنة) (يع 3 : 17)
وربنا يسوع المسيح عندما وبخ الكتبة والفريسيين ، قال لهم : (الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون ، وتركتم أثقل الناموس) فما هو يارب أثقل الناموس ؟ ما هو أهم شئ فيه ؟ يجيب (تركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان) هذا هو مركز الرحمة عند الله 000من يرحم غيره ، يرحمه الرب 0ومن لا يرحم غيره ، لايمكن أن ينال رحمة من الرب

(من يسد أذنيه عن صراخ المسكين ، فهو أيضا يصرخ ولا يستجاب) (أم 21 : 13)

لقد أعطانا السيد الرب مثل ذلك العبد الذى كان مديونا لسيده بعشرة آلاف وزنة ، وإذ لم يكن له ما يوفيه (تحنن سيد ذلك العبد ، وأطلقه ، وترك له الدين) ولكن هذا العبد الردئ لما أخذ زميلاً مديونا له وألقاه فى السجن ، حينئذ غضب عليه سيده وسلمه للمعذبين قائلا له :

(أما كان ينبغى أنك أنت أيضا ترحم العبد رفيقك ، كما رحمتك أنا ؟!) (مت 18 : 23)

وهكذا فإن هذا العبد الشرير فقد الرحمة التى نالها أولا ، وطالبه سيده بالدين الذى كان قد سامحه فيه 0وكل ذلك لأنه لم يرحم رفيقه 0
إن الذى لا ترحمه أنت ، يتولاه الله برحمته وبعنايته ، ويذكر لك ذنبك من جهته 0ولعل من الأمثلة الواضحة فى سفر التكوين ، قصة يوسف الصديق 0لقد ألقاه إخوته فى البئر بغير رحمة ثم باعوه كعبد 0000وبعد سنوات طويلة لما جاءوا لشراء قمح من مصر ، وقعوا فى يد وزيرها
(ولم يكونوا على معرفة بأنه يوسف) إ نزعجوا وتذكروا خطيتهم القديمة

(وقالوا بعضهم لبعض : حقا إننا مذنبون إلى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما إسترحمنا ولم نسمع 0لذلك جاءت علينا هذه الضيقة 0فأجابهم رأوبين قائلا : ألم أكلمكم قائلا : لا تأثموا بالولد وأنتم لم تسمعوا ، فهوذا دمه يطلب) (تك 42 : 21 : 22)

تذكر يا أخى هذا الكلام كله ، عندما تقول : (إرحمنا يا الله إرحمنا) وإن كنت قاسيا أو عنيفا على أحد ، إرجع وعامله برحمة ، لكى يرحمك الله 000لأنه كما نصرخ أنت إلى الله ليرحمك من الذين أتعبوك ، يصرخ هو أيضا طالبا أن يرحمه الله منك

يقول المرتل : (إرحمنا يا الله إرحمنا ، فإننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا ، وكثيرا ما إمتلأت نفوسنا)

لأننا كثيرا ما امتلأنا هوانا

كلمة (كثيرا) وكلمة (إمتلأنا) تدلان على مقدار الهوان الكبير الذى وقع فيه 0يعنى يارب ،

الحكاية مش بسيطة ، دى زادت خالص وامتلأنا هوانا ، وأنت ساكت لغاية لما إمتلأنا

إن بولس الرسول عندما ذكر متاعبه فى الكرازة قال :(بمجد وهوان ، بصيت ردئ وصيت حسن) (2كو 6 :8) يعنى أنه للهوان وللصيت الردئ 0أما المرتل فلا يقول هنا إنه تعرض للهوان ، وإنما إمتلأ هوانا ، وكثيرا ما حدث ، وإن هذا الهوان لم يتعرض له من الخارج ، وإنما إمتلأت به نفسه أيضا 0ولم يجد إلا أن يعرض مذلته على الله

وفى المزمور الأخير من صلاة الغروب يشكو من نفس الأمر فيقول : (على ظهرى جلدنى الخطاة وأطالوا إثمهم) ليس مجرد *جلدة واحدة ، وإنما أخذوا راحتهم فى الجلد ، وأطالوا إثمهم ، فامتلأنا هوانا ، وإمتلأت نفوسنا*

هذا الهوان قد يكون أحد نوعين : إما هوان بسبب الخطية ومتاعب الشياطين وكثرة العثرات والمثيرات ، وإما هوان بسبب ظلم الناس 000والنوعان موجودان فى الكتاب المقدس

أما الذل والهوان الذى بسبب الخطية ، فمن أمثلته

ما ورد فى صلاة دانيال النبى إذ يقول : (لك يا سيد البر، أ ما لنا فخزى الوجوه 000لأننا أخطأنا إليك) (دا9 : 7 ،8) ومن أمثلة ذلك أيضا صلاة عزرا الذى وجد الشعب قد تدنس بزيجات أجنبية فقال (ولما سمعت بهذا الأمر ، مزقت ثيابى وردائى ، ونتفت شعر رأسى وذقنى 00وقلت : اللهم إنى أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهى وجهى نحوك ، ؟لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا ، وآثامنا تعاظمت إلى السماء منذ أيام آبائنا ونحن فى إثم عظيم إلى هذا اليوم) (عز 9 : 3 – 7)

هذا هو الخزى والهوان الذى بسبب الخطية ، لأن الكتاب يقول : (عار الشعوب الخطية)

(أم 14 : 34)

ولهذا يقول إرميا النبى : (نضطجع فى خزينا ، ويغطينا خجلنا ، لأننا إلى الرب إلهنا

أخطأنا000ولم نسمع لصوت الرب إلهنا) (إر 3 : 25) وهكذا يقول الرب — فى سفر حزقيال النبى للأمة كلها : (لكى تتذكرى فتخزى ، ولا تفتحى فاك بعد بسبب خزيك ، حين أغفر لك كل ما فعلت) (حز 16 : 63) كل هذا هوان بسبب الخطية ، لأن الخطية تجلب الخزى والعار 0والمصلى عندما يقول فإننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا 0إنما يذكر أمام الله خطاياه التى أوقعته فى العار والذل والخجل ، وينسحق أمام الله بسببها 000

على أن هناك هوانا آخر ، سببه ظلم الناس واضطهادهم
وفى ذلك يقول داود النبى : (اليوم كله خجلى أمامى ، وخزى وجهى قد غطانى ، من صوت المعير والشتائم ، من وجه عدو ومنتقم) (مز 44 : 15 ، 16) ولم يكن ذلك بسبب الخطية ، إنما من أجل الرب 0إذ يقول داود بعدها مباشرة : (هذا كله جاء علينا ، وما نسيناك ولاخنا عهدك 0لم يريد قلبنا إلى وراء ، ولا مالت خطوتنا عن طريقك) إلى أن يقول :
(من أجلك نمات اليوم كله قد حسبنا مثل غنم للذبح) (مز 44 : 22)

ومن أمثلة ذلك أيضا قول داود النبى : (لأنى من أجلك إحتملت العار 0غطى الخزى وجهى 0صرت أجنبيا عند إخوتى ، وغريبا عند بنى أمى 0لأن غيرة بيتك أكلتنى ، وتعييرات معيريك وقعت على) (مز 69 : 7 — 9)

إذن ممكن من أجل الرب ، من أجل الحق ، ومن أجل غيرة مقدسة ، تمتلئ النفس هوانا ، وتعييرا ، ويغطى الخزى وجهها وهكذا عاش الأنبياء والقديسون ، يصرخون إلى الرب فى كثير من الأوقات قائلين : (إرحمنا يا الله إرحمنا 0فإننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا وكثيرا ما إمتلأت نفوسنا)

وعلى العموم فهذا الهوان ، أو هذا الخزى ، يرفعه الرب عنا ، بطرق كثير ، منها : الإنسحاق والتوبة ، وأيضا الإيمان

فمن وجهة الإنسحاق ، يقول المزمور : (لا يرجعن المنسحق خازيا) (مز 74 : 21) نعم ، لا يمكن أن يخزى المنسحق بل أن الله يرفع عنه الخزى 0 لأنه (يقيم المسكين من التراب ، ويرفع البائس من المزبلة ، ليجلس مع رؤساء شعبه)فإن كنت يا ؟أخى قد إمتلأت هوانا ، إنسحق أمام الله ، فيرفع وجهك 0إنسحق أمامه حتى يقبل صلاتك ، حينما تقول له : (إرحمنا يارب إرحمنا ، فإننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا)

أصعب من الخزى هنا ، الخزى فى اليوم الأخير 0مساكين الذين يخزون فى ذلك اليوم ، حينما تكشف الأعمال وتفحص الأفكار 000

أولئك يصرخون إلى الله قائلين : (إرحمنا يا الله إرحمنا ، فإننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا) فيجيبهم (الحق أقول لكم إنى لا أعرفكم) فيزدادون هوانا على هوان ، وخزيا على خزى 000
هذا الخزى فى اليوم الأخير ، وهذا الهوان ، يرفعه الرب عنا بالإيمان 0إذ يقول الرسول :
(كل من يؤمن به لا يخزى) (رو 9 : 33) ويكررها مرة أخرى فى (رو 10 : 11) وطبعا ليس المقصود هو مجرد الإيمان العقلى ، بل الإيمان العامل بالمحبة (غل 5 : 6) لأن الإيمان بدون أعمال ميت (يع 2 : 26) لا يمكنه أن يمنع الخزى فى اليوم الأخير

هذا الخزى ، أو هذا الهوان ، الخاص بالخطية قد حمله الرب عنا ، لكى ننجو نحن من الهوان والخزى

وهكذا يقول عنه الرسول : (من أجل السرور الموضوع أمامه ، إحتمل الصليب مستهينا بالخزى) (عب 12 : 2) صار عارا عند البشر ، ومحتقرا عند الشعب ، كل الذين يرونه يستهزئون به (مز 22 : 6 ، 7) (محتقر ومخذول من الناس 000محتقر فلم نعتد به 000ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه 0كشاه تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازيها ، فلم يفتح فاه
وأحصى مع أثمة (إش 53) ونحن نقول له فى القداس الغريغورى :

(إحتملت ظلم الأشرار بذلت ظهرك للسياط ، وخديك أهملت للطم 000لم ترد وجهك عن خزي البصاق) (إش 50 : 6)

فإن قلت يا أخى فى صلاتك : (إرحمنا يا الله إرحمنا لأننا قد إمتلأنا هوانا ،تذكر حينئذ الهوان الذى تحمله المسيح من أجلك ، وهو برئ ، وتحمله صامتا لم يفتح فاه 000

حينئذ ستصغر ضيقاتك فى عينيك ، وحينئذ ستغير صلاتك وتقول : (إرحمنا يا الله ، فإننا قد ملأناك هوانا بسبب خطايانا ، حينما وضع عليك إثم جميعنا)

العار أردده على المخصبين ، والهوان على المتعظمين 0الليلويا :

ليس معنى هذه الآية الأخيرة من المزمور أن الإنسان يطلب الشر لغيره 0كلا ، بل إنه على رأى القديس أوغسطينوس أن المرتل قد قال هذا الكلام وأمثاله بروح النبوة ، ناظرا العار والهوان الذى ينتظر المخصبين والمتعظمين 0أما المخصبون فهم الذين تمتعوا فى الدنيا بالراحة والسعة والغنى ، وساروا فى الطريق الواسع 0وأما المتعظمون فهم المنتفخون بقلوبهم 0وهؤلاء وأولئك لم يعيشوا مطلقا فى حياة الإنسحاق 0

هؤلاء المخصبون والمتعظمون ، لم يمتلئوا هوانا على الأرض ، ولم يعيشوا فى طقس لعازر المسكين ، ولم يدخلوا من الباب الضيق ، ولم يعرفوا حياة الإتضاع ، بل قد أذلوا غيرهم على الأرض

لذلك سيرد الرب عليهم العار الذى الحقوه بغيرهم ، والذل الذى أذلوا به كل من كان أقل منهم 0 وبالكيل الذى كالوا به للأخرين ، سيكال لهم ويزاد0

هؤلاء قد إستوفوا خيراتهم على الأرض عظمة وغنى وجاها وكل من إرتفع سيتضع ، ومن إتضع سيرتفع كما قال الرب 000

عندما تصلى يا أخى هذه الصلاة ، إحترس من أن تكون أنت أيضا من المخصبين أو من المتعظمين

تذكر أن الله أنزل الأعزاء عن الكراسى ، ورفع المتضعين

(أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين) كما قالت والدة الله فى تسبحتها الخالدة (لو 1 : 52 ، 53)

قل له : جيد يارب أن نمتلئ ههنا هوانا على الأرض ، ونحمل صليبنا كل يوم ، إلى أن يأتى الوقت الذى نستريح فيه فى أحضانك ، فى الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة والتنهد ،

حيث تمسح — بحنانك — كل دمعة من عيوننا 0000

لك المجد فى محبتك ، من الآن وإلى الأبد 000

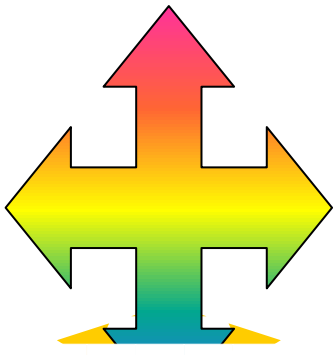

إليك يارب صرخت فى حزنى

مز 119 (120)

(إليك يارب صرخت فى حزنى ، فاستجبت لى يارب نج نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش
ماذا تعطى وماذا تزاد بإزاء اللسان الغاش ؟ سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية 0
ويل لى فإن غربتى قد طالت على ، وسكنت فى مساكن قيدار 0طويلا سكنت نفسى فى الغربة 0
ومع مبغضى السلام كنت صاحب سلام
وحين كنت أكلمهم كانوا يعادوننى باطلا هليلويا 0

هذا المزمور له أهمية كبيرة ، على إعتبار أنه أول المزامير التى كانوا يسمونها
(مزامير المصاعد) أو (ترانيم المصاعد) ويرتلون بها وهم صاعدون فى طريق أورشليم 0

والمفسرون الروحيون الذين يأخذون الكتاب المقدس بطريقة رمزية ، يقولون إن هذه المصاعد ترمز إلى السلم الروحى الذى يصعده الإنسان فى طريق الرب 0 ومادام مزمورنا فى هذه الليلة هو أول ترنيمات المصاعد ، إذن فهو يعطينا فكرة عن أول درجة فى السلم الروحى 0إنه يقول

إليك يارب صرخت فى حزنى

إنه شئ جميل ، هذا الذى يبدأ به المرتل مزموره 0لأنه يتكلم عن الماضى فيقول :
(إليك يارب صرخت فى حزنى ، فاستجبت لى)

فهو قبل أن يطلب أى طلب ، يذكر ربنا بالعشرة القديمة التى بينهما 0يجعل صلواته تعتمد على الخبرة الروحية التى بينه وبين الله 0

وكأنه يقول للرب : أنا يارب لما صرخت إليك فاستجبت لى عرفت كم أنت طيب ،وكم أنت معين لأولادك ، وكم أنت مستجيب للصلوات 0ومن أجل هذا ، أتقدم إليك بطلب جديد وهو :
(نج نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش)
إنه إنسان يبنى صلواته على إختباراته الروحية 0تماما كما تقول فى صلاة الشكر :
(نشكرك على كل حال ، ومن أجل كل حال ، وفى كل حال ، لأنك سترتنا وأعنتنا وحفظتنا00
إلخ) (من أجل هذا) 000من أجل محبتك لنا ، إذ سترتنا وأعنتنا وحفظتنا 000
(من أجل هذا ، نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر ، إمنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس)
الطلبة مبنية على خبرات فى عشرتنا لله 0000000

وأنت يا أخى المبارك ، حاول فى كل مرة يستجيب لك الرب فيها ، ويصنع معك خيرا ، أن تحتفظ بها فى ذاكرتك وفى قلبك ، وتضمها إلى خبراتك الروحية فى عشرتك مع الله وتجعلها مصدر دالة فى صلواتك المقبلة ، إذ تقول لله : (من أجل هذا ، أسأل وأطلب 000)

إن داود النبى والمرتلين الآخرين الذين كتبوا المزامير ، لم ينسوا أبدا خبراتهم مع الله 0بل هوذا داود يبدأ مزموره بتذكار علاقته الماضية مع الرب فيقول : (إليك يارب صرخت فى حزنى ،

فاستجبت لى) ولعل الصاعدين إلى أورشليم — وهم يرتلون هذا المزمور — كانوا يتذكرون إحسانات الله إليهم عبر ذلك الماضى الطويل : يتذكرون شق البحر الأحمر ، وتحويل المياه المرة إلى عذبة ، وتفجير الماء من الصخر ، والمن والسلوى ، والنجاة من الأعداء
وأنت يا أخى عندما تصلى ، ماذا تتذكر فى صلاتك ؟ هل تفعل مثل الذين لا يحدثون الله إلا عن المستقبل فى صلواتهم 0وفى كل مرة يصرخ الواحد منهم إلى الله ويقول :
[عاوز ، عاوز ، عاوز] ؟!

لماذا لا تكلم الله عن ماضيه معك ؟ وتقول له : أنت يارب عملت معى كذا وكذا ، وساعدتنى فى كذا وكذا 0000

وأنا لا يمكن أن أنسى إحساناتك الى 0معونتك يارب ليست جديدة على ، وليست غريبة على 0أنا يارب إليك صرخت فى حزنى فاستجبت لى 0 من أجل هذا أسأل وأطلب 0000

إليك يارب صرخت

إليك أنت يارب صرخت ، وليس إلى سواك 0لأن من عندك المعونة ، ومن عندك المغفرة 0أنا لا أتكل على ذراع بشرى ، ولا أعتمد على نفسى ، فى إنى أنجى نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش 0وإنما إليك أنت يارب صرخت 0أنت الوحيد الذى تسمع فى حنو ، وتعرف طلبات القلب

ربما إذا إلتجأت الى الناس يخجلوننى ، أو يبردوننى خائبا

أو على الأقل ينظرون الى فى إشفاق ، ويقولون : [مسكين ، ربنا يساعده] 0أما أنت فلما صرخت إستجبت إلى 0لذلك فأنا دائما أتكل عليك وليس على البشر الذين ليس عندهم خلاص 0

إليك يارب صرخت ، لأن أعدائى أقوياء ، وأنا ضعيف أمامهم

ضعيف عن مقاتلة أصغرهم 0كم من مرة إستجمعت قواى ، وقلت لابد أن أنتصر عليهم ، ثم خرت فى الطريق وسقطت 0وأخيرا صرخت إليك فى حزنى ، وفى ضيقى ، وفى عجزى ، لأن من عندك القوة 000

ربما يأتى الشياطين ويشككون القلب قائلين : لماذا تطلب الله فى حزنك وضيقك ؟ إذن لولا الضيقة ما كنت تطلبه ؟!

صحيح أن الصلاة مفروض أنها تكون حديث حب مع الله ، ولكن حتى هذه التى فى ضيق يقبلها الله بل ويطلبها أيضا ، ألم يقل : (ادعنى فى وقت الضيق ، أنقذك فتمجدنى) (مز 50 : 15) إن الله يريدنا أن نكلمه ، ونتحدث إليه ، أيا كان السبب ، وأيا كانت المناسبة 0ليس لأنه محتاج إلى كلامنا ، وإنما من أجلنا ، لكى يمتعنا بذاته ، ويظهر لنا محبته 000لذلك يسر عندما نقول له : (إليك يارب صرخت فى حزنى)

هذه العبارة الأولى فى المزمور ، كانت مجرد مقدمة ، دخل بها المرتل ليعرض على الله طلباته فماذا طلب منه ؟

يارب نج نفسى من الشفاة الظالمة

ومن اللسان الغاش

يارب نج نفسى 0من الممكن أن أحتمل المتاعب والضيقات التى تصيب جسدى 0أما الآن فإن نفسى فى خطر ، وأريدك أن تنقذها 0من أجل أبديتى أصرخ إليك :

(نج نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش)
فما هو الفرق بين الشفاة الظالمة واللسان الغاش ؟
الشفاة الظالمة هى التى تظلمك ، تتهمك إتهامات زور ، تلفق حولك إدعاءات باطلة ، تقسو عليك ، تنسب إليك ما ليس فيك من العيوب 0أما اللسان الغاش ، فهو اللسان الذى يمدحك ويتملقك عن غير حق 0وهكذا يمكن بضربات يمين وضربات شمال يسقطك الشيطان 0

لذلك فأنت تصرخ طالبا أن ينقذك الله من الشفاة الظالمة 0

تقول له : نج نفسى منها 0لأنه من الجائز أن يضغط الظلم على نفسى ، فأتعب ، وربما أغضب ، وربما أفقد محبتى للناس ، وربما أدين غيرى ، وربما ادافع عن نفسى بغباوة 00لذلك نج نفسى من الشفاة الظالمة

ونجنى أيضا من اللسان الغاش ، لأنه ليس أقل خطرا منها

فاللسان المادح أو المتملق أو المرائى ، أو المتظاهر بالمحبة ، ربما يتلفنى هو أيضا من الداخل يفقدنى تواضعى ، أو يدخل إلى عقلى أفكارا ومشاعر وإيحاءات لا تليق بقلب نقى 0000
لذلك إنقذنى من كليهما ، من ضربات اليمين وضربات اليسار 0وانشد يارب فى أذنى أغنيك الجميلة التى تقول لى فيها :
(يسقط عن يسارك ألوف ، وعن يمينك ربوات ، وإليك لا يقتربون)(مز 91 : 7)

داود النبى تعرض للشفاة الظالمة 0

ومن أمثلتها شمعى بن جيرا الذى كان يرشقه بالحجارة وهو يقول : (أخرج أخرج ، يا رجل الدماء ، ورجل بليعال 0فقد رد الرب عليك كل دماء بيت شاول الذى ملكت عوضا عنه 00وها أنت واقع بشرك ، لأنك رجل دماء) (2صم 16 : 7 ، 8) وقبل شمعى كثيرا ما تكلم شاول الملك على داود بشفاة ظالمة قائلا (ابن الموت هو) (1صم 20 : 31) وكان يحاول أن يهيج يوناثان عليه قائلا :
(ما دام ابن يسى حيا ، لا تثبت أنت ولا مملكتك)

وهذه الشفاة الظالمة تعرض لها يسوع المسيح نفسه :

قالوا إنه سامرى وبه شيطان ، وقالوا إنه ببعلزبول يخرج الشياطين 0وقالوا إنه أكول وشريب خمر وقالوا إنه ناقض للشريعة وكاسر للسبت 0وقالوا إنه ناقض للشريعة وكاسر للسبت 00
وقالوا إنه لا يريد أن يدفع جزية لقيصر 000شفاة ظالمة ، لا حد لإتهاماتها الباطلة 000
قل له : نجنى يارب من الشفاة الظالمة ، لأنك أنت نفسك قد إختبرت ظلم الأشرار ، والحكم الذى صدر عليك كان حكما ظالما 0كم كان قيافا ظالما حينما مزق ثيابه قائلا عنك :
(قد جدف 0ما حاجتنا بعد الى شهود !!) (مت 26 : 65)

وتعرض للشفاة الظالمة أيضا ، الأنبياء والرسل والآباء القديسون :

إرميا النبى اتهم بأنه يضعف معنويات الشعب وشتموه ، وإتهموه بالكذب ، وضربوه ، وقالوا (حق الموت على هذا الرجل لأنه قد تنبأ على هذه المدينة كما سمعتم) (إر 26 : 11)
وقالوا عنه أيضا : (هذا الرجل لا يطلب السلام لهذا الشعب بل الشر) (إر 38 : 4) وأخذوه وألقوه فى جب فغاص فى الوحل 0
وما أكثر الشفاة الظالمة والإتهامات الباطلة التى تعرض لها رسول عظيم كبولس الرسول 0بل إن قديسا عظيما جدا مثل البابا أثناثيوس الرسولى ، إتهموه بالزنا ، وبالقتل ، وبالهرطقة ، وباتهامات سياسية أيضا 0

ما أبشع الشفاة الظالمة التى تلقى أفظع الإتهامات ، بمنتهى السهولة ، وبمنتهى البساطة وما أبشع الشفاة الظالمة التى تجرح شعور الآخرين ، أو تعاملهم كما لو كانوا بغير إحساس على الإطلاق

لذلك صرخ المرتل الى الرب قائلا : (نج نفسى من الشفاة الظالمة ، ومن اللسان الغاش) ذلك اللسان الغاش الذى يتملق ويرائى ، ويتظاهر بالصداقة وهو عدو 0ويقدم النصيحة كإنسان مخلص ، وكلها سم مميت 0ويتكلم بالمديح ، وهو يدبر المؤامرات لا تشعر مطلقا بخوف منه ، ولا تأخذ حذرك من جهته ، بل قد تطمئن إليه جدا ، وهو يحفر لك حفرا فى الخفاء

تعرض السيد المسيح للسان الغاش ، من الشيطان ومن الناس

أتاه المجرب بلسان غاش وقال له : (إن كنت ابن الله ، فاطرح نفسك الى أسفل 0لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك 0فعلى أيديهم يحملونك ، لكى لا تصدم بحجر رجلك) (مت 4 : 6) ومنظر جميل رائع ، أن كل الناس فى الهيكل يشاهدون شخصا محمولا على أيدى الملائكة ، فيؤمنون !! إنه لسان غاش لم يقبله الرب 0

وأتاه أيضا الفريسيون بلسان غاش ، كله مديح وملق ورياء ، لكى يصطادوه بكلمة 0فقالوا له (يا معلم ، نعلم أنك صادق ، وتعلم طريق الله بالحق ، ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس فقل لنا ماذا تظن : أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا ؟) (مت 22 : 15 — 18) إنه لسان غاش ، يمدح — ليس إيمانا بما يقول — وإنما ليصطاد غيره بكلمة 0لذلك أجابهم الرب على هذا المديح بقوله : (يا مراؤون ، لماذا تجربوننى ؟ 000)

من الجائز جدا أن يكون المتكلم بلسان غاش هو الشيطان نفسه ، حتى إن نطق على فم أحد من الناس ! 000

مثال ذلك بطرس الرسول ، الذى لما سمع قول الرب عن آلامه وموته ، أخذه إليه ، وإبتدأ ينتهره قائلا : (حاشاك يارب ، لا يكون لك هذا) (مت 16 : 22) والتفت الرب وقال لبطرس (إذهب عنى يا شيطان 0أنت معثرة لى 0لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس)

لذلك عندما تذكرون الشفاة الظالمة واللسان الغاش فى صلواتكم ، إنسبوها إلى الشيطان وليس إلى الناس 000

ولكن لعل أحد يسأل : لماذا نطلب من الله أن ينجينا من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش ؟ لماذا لا نحتمل ؟! 0000

إن ربنا يسوع المسيح (ظلم ، أما هو فتذلل ولم يفتح فاه) (إش 53 : 7) فلماذا لا نسلك مثله ؟! طبعا المفروض أن الإنسان لما يصل إلى الكمال 0يصل إلى الدرجة التى تموت فيها نفسه عن الكرامة وعن الهوان 0مثل النصيحة التى وجهها القديس مقاريوس الكبير إلى أحد الرهبان إذ طلب إليه أن يذهب ويمدح الموتى ، وأن يذهب مرة أخرى ويذمهم 0ولما لم يجيبوا عليه فى كلا الحالين ، قال له القديس : [إن أردت أن تعيش مع الله ، كن مثل هؤلاء الموتى 0لأن الميت لا يبالى بكرامة ولا بهوان]

ولكن كما قلت لكم : نحن نتكلم عن الدرجة الأولى من سلم المصاعد التى تصعد إلى الهيكل والمرتل هنا إنسان مبتدئ ، فى أول طريقه إلى الله 0وهو أيضا صريح مع الله ، يشرح حاله كما هو

وكأنه يقول : أريد يارب أن أكون صريحا معك 0 لا أستطيع أن أكذب عليك وأقول إننى لا أتأثر من الشفاة الظالمة ولا من اللسان الغاش 0أنا إنسان ضعيف لم أصل بعد إلى درجة عدم التأثر هذه أنا يارب ضعيف ، أصلى إليك وأقول : (لا تدخلنا فى تجربة) 000أما الأقوياء فإنهم يحسبونه كل فرح حينما يقعون فى تجارب متنوعة (يع 1: 2) ولكننى أنا صغير وضعيف ، ولم أصل بعد إلى المستوى 0لسة بدرى على !!

نقطة أخرى : عندما أقول (نج نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش) قد أقصد : قد يكون لسانى أنا هو اللسان الغاش ، وشفتاى هما الشفاة الظالمة 0

عندما نذكر هذه الطلبة فى صلواتنا ، ليت كل واحد فينا يسأل نفسه : من من الناس قد ظلمته ؟ ما هى ألفاظ الظلم التى خرجت من فمى ؟ وما هى الإتهامات الباطلة التى إتهمت بها بعض الناس ؟ متى أدنت أحد إدانة ظالمة ؟ متى حكمت على غيرى حكما باطلا بدون فحص ولا تحقيق ؟ متى جرحت شعور الناس بكلام قاس شديد ؟ متى أوصلت كلاما رديئا يسئ إلى إنسان 0000

على أن هذه الشفاة الظالمة التى نظلم بها الناس ، قد نظلم به الله نفسه أيضا !! وما أكثر الأمثلة :

إنسان يمرض مثلا ، فيصرخ إلى الله متذمرا : [إنت مش سايبنى ولا دقيقة أستريح] ! وجايز أن المرض لا يكون من عند الله ، بل قد يرجع إلى إهمال هذا الشخص فى صحته 000

أو تلميذ مثلا فى إمتحان ، فيصبح نحو الله بشفاة ظالمة ويقول : [ليه بس يارب كل ستة تسقطنى وفيه تلاميذ وحشين ما بيروحوش الكنيسة ونجحوا 0إشمعنى أنا ؟!] ويبدأ فى أن يجدف على الله وقد يكون رسوبه راجعا إليه هو 0

إنها شفاة ظالمة 0 لا تظلم مجرد إنسان ، وإنما الله نفسه كل سر يحيق بالإنسان ، ينسبه إلى الله ، ويقول إن الله هو السبب !!

ويبدأ فى شجار مع الله أو سوء تفاهم ، أو فى سلسلة من التهديدات : بعدم الذهاب إلى الكنيسة أو عدم السلوك حسنا ، أو السير فى الطريق البطال الذى سلك فيه الذين نجحوا من الأشرار !!

وأنا عندما أقول : (نج نفسى من الشفاة الظالمة) إنما أقصد أن تنجينى من هذا الخطأ أيضا : فلا أظلمك ، ولا أجدف على اسمك ، ولا أتهمك إتهاما باطلا ، ولا أشك فى محبتك ، ولا أشك فى حنانك ولا أفترى على عدلك ولا على قدرتك ، ولا أتكلم عليك أية كلمة بطالة 0وباختصار ، نج نفسى من الشفاة الظالمة

وأيضا بالنسبة إليك يارب ، نج نفسى من اللسان الغاش 000

أقول لك : (محبوب هو اسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى) (مز 119 : 97) وأنا لا أتلو اسمك دقيقتين أو ثلاثة ! وأقول : (بللت فراشى بدموعى) (مز 6:6) وأنا لم يحدث لى شئ من هذا ! وأقول : (يا الله أنت إلهى إليك أبكر،عطشت نفسى إليك) (مز 63: 1) وأنا لا أبكر للصلاة ، وإن قمت مبكرا أنشغل بأشياء أخرى !

ولكن على الرغم من كل هذا ، لا أريد أيها الإخوة أن أعتبر هذا لسانا غاشا 0 فالمزامير فيها نواحى تعليميه 0وليكن أمثال هذا الكلام نوعا من الوعظ ، أو نوعا من الإيحاء0

بحيث عندما نقول هذه العبارات فى حضرة الله ، نتذكر ما ينبغى أن نعمله ، ونجد فى أعماقنا دافعا داخليا يدفعنا إلى تنفيذ ما نقول 0تماما كما نقول فى الصلاة الربانية :

(إغفر لنا 000كما نغفر نحن أيضا) وربما نكون فى الواقع لا نغفر 0ولكنها ناحية تعليمية فعندما نقول هذا تبكتنا ضمائرنا ، لكى نفعل حسبما نصلى قائلين : يارب نج نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش)

لاحظوا أن اللسان الغاش أخطر من الشفاة الظالمة 0

لأن الشفاة الظالمة مكشوفة وظاهرة معروف أن فلان قال كلمة شتيمة أو تهمة ظالمة أما اللسان الغاش ، فإنه يتوارى وراء المحبة والإخلاص ، ويلبس ثياب الحملان 0ولذلك فهو أكثر خطرا 0ومن أجل هذا بعد أن قال المرتل : (نج نفسى من الشفاة الظالمة واللسان الغاش) رجع إليه مرة أخرى وقال : (ماذا تعطى وماذا تزيد بإزاء اللسان الغاش ؟!)

لاحظوا أيضا أن هذا المرتل ، كلما يصعد ، وكلما يقترب من ديار أورشليم ومن هيكل الرب ،

حينئذ تقوى روحه وترتفع معنوياته 000

فى أول درجة كان يقول : (يارب نج نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش) ولما طلع إلى فوق ، ورتل مزامير أخرى ، إستطاع أن يقول : (على ظهرى جلدنى الخطاة وأطالوا إثمهم الرب صديق هو يقطع أعناق الخطاة) (مز 129 : 3) متأكدا أن أعداءه سيبيدون بمعونة الله لقد جرب معونة الله ولمسها فى طول الطريق الروحى

إنه حاليا يقول فى المزمور : (يارب نج نفسى) أنا خائف ومرتعد

(سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية) ولكنه ما أن يرتفع فى المصاعد إلى أورشليم ، حتى يقول : (المتوكلون على الرب مثل جبل صهيون ، ولا يزول إلى الأبد) (مز 125 : 1)

أبتدأ يشم نفسه ، ويشعر أن ربنا بيشتغل معاه 00

لكن إحنا دلوقتى لسه فى أول درجة 0والمرتل شاعر بضعفه 0بيقول ربنا : يارب خلى بالك منى دا أنا لسه صغير ، ولسه ضعيف 0ومش قد الناس دول 0(يارب نج نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش) ثم يقول وكأنه يخاطب نفسه :

ماذا تعطى وماذا تزاد بإزاء اللسان الغاش ؟!

بماذا ينفعك هذا اللسان الغاش ؟ وبماذا يفيدك ؟! عندما يتملقك الناس أو يمدحونك ، ماذا تعطى حينئذ وماذا تزاد ؟! لماذا يضطرب قلبك أمام كلمة المديح ، ولا تحتملها ؟ وأنت تعرف أنها كلمة غش ، قد أملتها السياسة أو المجاملة 0أو ربما الذى يكلمك يعرف أنك تحب هذا الكلام الحلو ، فقدمه إليك لكى يضحك عليك 0000

وأخطر ما فى الأمر أن يغير الإنسان أسلوبه فى الحياة 0من اجل اللسان الغاش ومديحه ، أو خوفا من الإنتقاد !

قد تلبس الفتاة ملابس لا تقبلها الحشمة مطلقا ، لكن يقول لها اللسان الغاش إنها [عصرية] أو لكى لا توصف بأنها متأخرة لا تساير الموضة !! وقد يضحك إنسان على كلام لا يليق ، حتى يوصف بأنه لطيف يفهم النكتة ويستذوق المرح !! وقد يدخل فى بيته بعض آلات الترفيه المعثرة ، حتى لا يقال إن بيته ناقص فى أثاثه ، وحتى لا يقال عنه إنه متأخر ! بماذا تضرك يا آخى كلمة [متأخر] ؟ وماذا تعطى وماذا تزاد عندما توصف بأنك رجل [عصرى] ومعروف أننا فى عصر مادى فاسد ؟!

تذكر أن الكتاب يقول : (لا تشاكلوا هذا الدهر)

(رو 12 : 2) أى لا تصيروا شكله ، بل إحتفظوا بشكلكم الروحى وطابعكم السامى 000إن اللسان الغاش يريد أن يزحف داخل الكنيسة أيضا وينادى بتطوير الدين !! طبعا توجد فى الدين عقائد وروحيات ومثل وأخلاقيات لا يمكن أن تتغير 000وهنا يسأل اللسان الغاش فى خبث :

[وهل يبقى الدين جامدا ؟] سؤال مثير 000ولكننا نجيب بأن الدين ليس جامدا 0إنه واسع يملأ الدنيا كلها ، ويعلو على كل شئ

ونحن نقبل كل تطور ، على أن يكون هذا التطور خاضعا لمبادئ الدين ، ولا يكون الدين خاضعا للتطور 0فللدين القيادة 0

إننا لا نتأثر باللسان الغاش — مهما كان مثيرا — ولا نغير روحياتنا أو عقائدنا بسببه 0ماذا نعطى وماذا نزداد بإزاء اللسان الغاش

على أن اللسان الغاش قد يأتى بأسلوب آخر ، ويقول :

لماذا أنت خائف من الخطية ؟ لماذا لا تواجهها وتكون شجاعا ؟ إذن فأنت جبان وضعيف وخائف !

كن رجلا ، وتقدم وجرب 00

لا يا أخى ، إحترس من هذا اللسان الغاش 0فلس كل شئ يمكن أن تجربه 0بل الحكمة أن تنتفع بخبرات غيرك وتجارب السابقين 0هل يعقل أن تجرب السم ، لتعرف أهو يقتل ويميت أم لا لقد قال الرسول : (أما الشهوات الشبابية ، فاهرب منها) (2تى 2 :22) لا تغتر باللسان الغاش إذا قال لك [أنت بطل ، لأنك ترمى نفسك فى النار ولا تحترق] ! كلا ، فإن الكتاب المقدس يقول عكس هذا ، فيسأل فى إستغراب : (أيأخذ إنسان نارا فى حضنه ولا تحترق ثيابه ؟! أو يمشى إنسان على الجمر ولا تكتوى رجلاه ؟!) (أم 6 : 27 ، 28) ولا تظن الهروب جبنا 0فإن يوسف لم يكن جبانا حينما هرب من إمرأة فوطيفار 0بل كان مثالا للطهر 0إحترس إذن من اللسان الغاش ، ومن أقواله الخاطئة عن الرجولة والشجاعة 0

فاللسان الغاش قد يصور لك القوة فى غير موضعها 000

قد يقول لك : كن رجلا ، ولا تقبل أى خدش لكرامتك : الكلمة تردها بعشرة ، والإهانة تردها بقلمين أو قد يقول : (لماذا تتسامح مع فلان ؟! إنه بهذا لا يقيم لك وزنا ولا كرامة 0 فكن شديدا معه ، ولا تتراخ 0موقفك سليم) !! إنه لسان غاش فاحترس منه لأن عمق الكرامة أن تكون فى صورة الله المحب المتسامح الذى يغفر للكل 0وعندما تتحمس لكرامتك ، إنما تكون ضعيفا مغلوبا من كبريائك !

وإن كرهت اللسان الغاش فى الآخرين ، فاكره أيضا فى نفسك

قل لنفسك ماذا تعطى وماذا تزداد بإزاء اللسان الغاش ؟ أية فائدة تعود على نفسى إذا تملقت إنسانا ، أو غششته سعيا وراء رضاه ؟ إنما يهمنى أن أرضى الله 0أما الناس فلا يمكن أن أرضيهم بالغش على حساب المبادئ 0(لو كنت بعد أرضى الناس فلست عبدا للمسيح)

(غل 1 : 10) يا ليتنا كلما نقول هذا المزمور ، تبعد نفوسنا عن الغش وعن الرياء

إن الكتاب المقدس يصف اللسان الغاش بالسهم القتال 000

فيقول النبى : (لسانهم سهم قتال يتكلم بالغش 0بفمه يكلم صاحبه بسلام ، وفى قلبه يضع له كمينا) (إر9 : 8) ويقول داود : (أسنان أبناء البشر سلاح وسهام ، ولسانهم سيف مرهف)

(مز 57 : 4) ولذلك فإن المرتل عندما تذكر هذه السهام المرهفة ، صرخ إلى الله قائلا :

سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية

إنه يطلب معونة من الرب ، لأن أعداءه أقوياء ، وسهامهم مرهفة ، أى حامية وقاتلة 0

ودائما أولاد الله المتضعون يعتقدون فى أنفسهم أنهم ضعفاء 0ويعرضون ضعفهم أمام الله ،

طالبين منه قوة ضد الشياطين

القديس الأنبا أنطونيوس عندما كانت الشياطين تحاربه ، كان يقول لهم فى إتضاع :
[أيها الأقوياء ، ماذا تريدون منى أنا الضعيف ؟!] وكان يقول لهم أيضا :
[أنا ضعيف عن مقاتلة أصغركم] يعنى أنا مش قدكم 0000
وداود النبى كان يقول لله : (إن الغرباء قاموا على ، والأقوياء طلبوا نفسى 0ولم يسبقوا أن يجعلوك أمامهم) (مز 54 : 3)
ونحن هنا نقول للرب : هؤلاء الشياطين أقوياء ، ولكنك أنت أقوى ، فاعطنا قوة من عندك ، لكى نحاربهم بها

هؤلاء الأقوياء ، يوجهون سهامهم إلى النفس 0وسهامهم مرهفة قوية مسنونة 00ولكن ما

معنى (مع جمر البرية) ؟

والذى جرب فيكم السير فى البرية ، أى فى الصحراء ، وبخاصة فى وقت الظهر ، يعرف كيف تكون الأرض ملتهبة تحت قدميه ، تشويهما 0إن كان حافيا هاربا من عدوه 0وما أسهل أن نسمى الحصى الملتهب فى الصحراء ، والزلط وحبات الرمل المتقدة ، بإنها : (جمر البرية) وأحيانا لا يستطيع الإنسان أن يسير عليها من شدة اتقاد حرارتها 0وأعرف أعرابيا فقد بصره من جمر البرية ولكن المرتل يصف هنا حالة أصعب

حالة إنسان هارب فى البرية من عدوه ، يكوى جمر البرية قدميه ، وفى نفس الوقت تلاحقه

سهام الأقوياء المرهفة 00 فيتجه إلى الله 00

إذ لا يوجد معين له فى هذه المحنة سواه ، صارخا قائلا :
(سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية
ولكن إن كنت يا أخى تشعر بهذه الآلام ، فاحترس فى صلاتك لئلا تكون سهامك أنت أيضا مرهفة على عدوك

إن كنت تطلب من الله أن ينجيك من السهام المرهفة ، فلا تكون لك سهام مرهفة توجهها إلى

الناس

سواء بلسان قاس يشوه سمعتهم أو يجرح شعورهم ، أو بمعاملة قاسية تؤذيهم ، أو بمطاردة لهم فى حياتهم أو فى أرزاقهم أو فى عملهم 000إحذر لئلا يصرخ إنسان إلى الله بسببك ، طالبا أن ينجيه الرب منك ومن سهامك المرهفة التى تشبه جمر البرية هى أيضا 0
عندما تصلى هذه الصلاة، إسأل نفسك : هل أنا ضعيف أم قوى ؟ هل أنا من الأقوياء أصحاب السهام المرهفة ، أم من الضعفاء المساكين بالروح ، النائحين الودعاء ، المطرودين من أجل اسمه ؟

إحترس لنفسك لئلا تكون من الأقوياء أصحاب السهام المرهفة 00000

تذكر أن الله إختار ضعفاء العالم ليخزى بهم الأقوياء (1كو 1 : 27) إن كنت من الأقوياء المعتدين بقوتهم ، المستخدمين قوتهم فى قهر الآخرين ، فاحذر لنفسك لئلا يطالبك الله بما فعلت سهامك بغيرك شئ آخر تتذكره عندما تصلى قائلا : (سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية) وهو أن تطلب من الرب معونة تواجه بها هؤلاء الأقوياء ، وأيضا أن تكون على الدوام فى حالة إستعداد وإحتراس 0

إن كان عدوك قويا وسهامه مرهفة ، فيجب عليك أنت أن تحترس وتستعد ، وتهتم بنفسك ،

ولا ترم روحك إلى التهلكة

لأنه يقال عن الخطية إنها : (طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء) (أم 7 : 26) فاحترس يا أخى وخف ، لأن الرسول يقول : من يظن أنه قائم ، فلينظر لئلا يسقط)
(1كو 10 : 12) مادامت الخطية سهامها مرهفة ، وقد طرحت كثيرين جرحى ، فلا تغتر بقوتك ، وإنما إحترس لنفسك ، وابعد عن مواضع الخطر 0ابعد عن مادة الخطية ابعد عن كل إنسان يقاتلك به العدو 0(أما الشهوات الشبابية فاهرب منها)
إن الرسول يقول : (إصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر ، يجول ملتمسا من يبتلعه هو) (1بط 5 : 8) فاحترس يا أخى إذن واستعد : إستعد بالجهاد الكثير ، واستعد بالإيمان القوى والإلتجاء إلى الله 0وتسلح لأن القديس بولس الرسول يقول إن مصارعتنا ليست مع دم ولحم 00بل مع أجناد الشر الروحية (أف 6 : 12) من أجل هذا يجب أن تلبس سلاح الله الكامل لكى تقدر أن تقاوم فى اليوم الشرير سهام الأقوياء المرهفة 0

لابد أن تواجه سهام العدو ، بأسلحة روحية قوية 000000

عندما تخرج إلى الطريق فى الصباح ، واجه عثرات الطريق بصلوات قوية مستمرة 0لا تصرخ قائلا : (سهام الأقوياء مرهفة) وأنت تارك سلاحك ورافض أن تستخدمه ! إن الله قد أعطاك درعا قويا ، وأعطاك أسلحة تستطيع بها أن (تطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة) (أف 6 : 16) فلماذا لا تستخدم أسلحتك ؟!

أنا متعجب منك يا أخى جدا ! كيف تعترف بأن سهام الأقوياء مرهفة ، ومع ذلك أراك خارجا من بيتك بغير صلاة ، بغير إنجيل ، بغير تأمل ، بغير مطانيات ، بغير صراع مع الله !!

قبل أن تخرج من بيتك ، مثلما تهيئ ملابسك وأدواتك ، هيئ أيضا أسلحتك الروحية 0قل له :
ما دامت سهام الأقوياء مرهفة ، فأنا لابد يارب أن أسلح بأسلحتك قبل أن أخرج 0أتسلح بكلمة الله القوية التى هى أمضى من كل سيف ذى حدين (عب 4 : 12) أتسلح بالإيمان ، أتسلح بالصراع مع الله ، أتسلح بالإتضاع الذى يغلب الشياطين 0
(سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية) إن المرتل عندما تذكر هذه الحروب الخارجية ، وعندما تذكر الخطية الرابضة ، وتذكر الشفاة الظالمة واللسان الغاش ، وتذكر هجمات العدو وقوته ، صرخ بعد هذا قائلا :

ويل لى فإن غربتى قد طالت على

(ويل لى فإن غربتى قد طالت على ، وسكنت فى مساكن قيدار 0طويلا سكنت نفسى فى الغربة)
(ويل لى) إنها صرخة إنسان شاعر بسوء حالته

لا تنتظر يا أخى إلى أن يقول لك الرب : (ويل لك) كما قالها للكتبة والفريسيين 0وإنما قلها لنفسك أولا

ما أجمل قول القديس مقاريوس الكبير : [أحكم ياأخى على نفسك قبل أن يحكموا عليك)
لا تنظر حتى تسمعها كما قيلت للمدن التى لم تتب : (ويل لك يا كورزين ، ويل لك يا بيت صيدا) (مت 11 : 21) بل إسرع أنت وقل لنفسك : (ويل لى فإن غربتى قد طالت على ، وسكنت فى مساكن قيدار) أنا متغرب عن الله مدة طويلة 0فإلى متى سأبقى فى هذه الغربة ؟!

ولكن ما معنى مساكن قيدار ؟

قيدار هذا كان من بنى إسماعيل (تك 25 : 13) وكانت مساكن بنى قيدار بعيدة 0ولما ذهبوا إلى السبى ، إختلطوا بالناس هناك وسكنوا فى مساكنهم ، ومساكن قيدار كانت خياما سوداء مصنوعة من شعر الماعز الأسود لذلك فإن المغنى يقول فى نشيد الأناشيد : (سوداء 000كخيام قيدار) (نش 1 : 5)

فالمرتل هنا عندما يذكر خيام قيدار ، إنما يذكر بعدها ، وضلالها ، وخلطتها بالأمم ، وغربتها عن شعب الله

يقولها ، وهو يشعر بسوء حالته ، ويوبخ ذاته أمام الله ويصب عليها كل الويلات 000وأنتم أيها الإخوة الأحباء ، هل ما يزال أحد منكم ساكنا فى خيام قيدار ، إن كنتم هناك فأسرعوا وأخرجوا ، إرجعوا مرة أخرى إلى أورشليم 0لئلا تبكوا على أنهار بابل ، وتعلقوا قيثاراتكم على الصفصاف (ويل لى ، فإن غربتى قد طالت على) إن الذى يبعد عن الله ساعة واحدة يتعب ، فماذا أفعل أنا الضال الذى بعدت عنه شهورا وسنوات ، ماذا أفعل ؟! (ويل لى) إنها صيحة إنسان يطلقها من بعيد وهو لا يشعر بالصلة بينه وبين الله ، ولا بالدالة التى كانت له معه منذ زمان 0لا دالة ، ولا صلة ، ولا حرارة ولا روحانية 0000

وكل دقيقة تمر فى هذه الغربة كأنها دهر طويل 0لذلك يصرخ المصلى قائلا :

(طويلا سكنت نفسى فى الغربة)

إنه إما طول فى المدة ، أو شعور بطول المدة لقسوة البعد وفتور القلب 0يعترف المصلى بهذا وهو حزين ، ويعترف بهذا وهو ثائر على الخطية التى أبعدته عن الله 0وكأنه يقول : أنا لا أستطيع مطلقا أن أستمر فى هذا الوضع 0كفى هذه الغربة ، وكفى هذه المدة 0أريد أن أبدأ من الآن ، فأصطلح مع الله لأن البعد جفوة ، وويل لى إن بقيت فيه 000

لعل بعض القديسين عندما يقولون هذه العبارة ، لا يقصدون غربة الإنسان عن الله فى حياة الخطية ، وإنما غربتهم فى الجسد 0

وكما قال بولس الرسول : (فإذن نحن واثقون كل حين ، وعالمون أننا ونحن مستوطنون فى الجسد ، فنحن متغربون عن الرب) (2كو 5 : 6) فهو يريد أن ينطلق من هذا الجسد ، ويلتصق بالرب : (لى إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ، فهذا أفضل جدا) (فى 1 : 23) ويل لى ، فإن غربتى قد طالت على 0إلى متى يارب أظل فى سجن هذا الجسد ؟ وإلى متى تظل روحى سجينة المادة ؟ أريد أن أنطلق والتصق بك 0(طويلا سكنت نفسى فى الغربة ، ومع مبغضى السلام كنت صانع سلام)

ومع مبغضى السلام ، كنت صانع سلام :

إن هذه العبارة ترينا مسيحية هؤلاء القديسين الذين عاشوا فى العهد القديم ، وكيف كانوا يعيشون بالمبادئ الجميلة التى نادى بها السيد المسيح من جهة محبة الأعداء والإحسان إلى المسيئين

يقول المرتل : (ومع مبغضى السلام كنت صاحب سلام 0وحين كنت أكلمهم ، كانوا يعادوننى باطلا ومع أنهم كانوا يعادوننى باطلا ، إلا أنى كنت معهم صاحب سلام !

كان شاول الملك يضطهد داود ، ومع ذلك كان داود بكل محبة يعامل شاول ويحترمه ، ويقول : (لا أمد يدى إلى سيدى ، لأنه مسيح الرب) (1صم 24 : 10) حتى إستطاع داود بهذه الروح أن يجعل عينى شاول القاسى تتفجران بالدموع 0ويقول له شاول : (أنت أبر منى 0لأنك جازيتنى خيرا ، وأنا جازيتك شرا) (1صم 24 : 16 ، 17)

وعلى الرغم من مطاردة شاول لداود بعد هذا : كان داود صاحب سلام فلم يضر شاول عندما وقع فى يديه ، بل على العكس إستبقى له حياته ووبخ أبنير قائد جيش شاول قائلا
لماذا لم تحرس سيدك الملك ؟ ليس حسنا هذا الأمر الذى عملت 0حى هو الرب أنكم أبناء الموت أنتم ، لأنكم لم تحافظوا على سيدكم ، على مسيح الرب) (1صم 26 : 15 ، 16)
عندما تتذكر هذا وأنت تصلى ، تذكر أيضا قول الرب : (إن أحببتم الذين يحبونكم ، فأى أجر لكم ؟ إن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون ؟ (مت 5 : 46 ، 47) (طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون) (مت 5 : 9)
فإن أتاك إنسان ، وقال لك فلانا عمل كذا وكذا ، فقلت له أنت : [أنا أيضا أعرف عنه أكثر من هذا بكثير 0إنه عمل وعمل] لو قلت هذا ، فإنك تزيد النار إشتعالا ، والإشتراك مع محدثك ، إنما تضيعان هذا الإنسان الذى تنحلان وبره

أما أنت فقل : [ومع مبغضى السلام كنت صاحب سلام 0 أنا كلما أرى نارا متقدة أطفئها] فهل أنت حقا كذلك؟

أم أنت إن وجدت نارا تضع عليها فحما وكبريتا ، وتصب عليها الجاز والبنزين ، وتزيد النار إلتهابا وتفرح بها كما فرح نيرون
لا يا أخى حاشا أن تكذب على الله فى صلاتك 000بل

عندما تقول له فى الصلاة : (ومع مبغضى السلام كنت صاحب سلام) اتخذ مبدأ لك تنفذه عمليا فى حياتك 0

مع الذين يثيرون المشاكل ، كن صاحب سلام 0مع الذين يتكلمون فى سيرة الناس ، كن صاحب سلام مع الذين يعادونك باطلا ، كن صاحب سلام 00وإن كنت مع كل هؤلاء تتصرف كلمة تسئ إلى علاقة إنسان بشخص آخر 000ولا تفسر تصرفات الناس

وأقوالهم تفسيرا يفسد العلاقات 000وإن وجدت بابا مفتوحا للصلح ، فلا تعمل على إغلاقه ، ولا تعقد الأمور 000

وإن كنت مع مبغضى السلام صاحب سلام ، فمن باب أولى كن مع المسالمين مسالما 0
لا تستغل طيبة إنسان وتواضعه لتشتد عليه ، وتتعالى ، فتضيع السلام الذى بينكما

وطوبى لصانعى السلام ، فإنهم أبناء الله يدعون 0

(رفعت عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى 0معونتى من عند الرب الذى صنع السماء والأرض
لا يسلم رجلك للزلل 0فما ينعس حافظك هوذا لا ينعس ولا ينام حارس إسرائيل 0الرب يحفظك
الرب يظلل على يدك اليمنى 0فلا تحرقك الشمس بالنهار ، ولا القمر بالليل 0
الرب يحفظك من كل سوء 0الرب يحفظ نفسك 0الرب يحفظ دخولك وخروجك ، من الآن والى
الأبد0الليلويا 0
فى المزمور السابق شعر المرنم أنه بعيد عن الله ، فقال : (ويل لى فإن غربتى قد طالت على
وسكنت فى مساكن قيدار) فماذا يعمل الشخص الغريب الشاعر بغربته ؟ يبدأ فى أن يتجه إلى الله
فيقول :

رفعت عينى إلى الجبال

أول خطوة تخطوها فى طريقك إلى الله ، هى أن تتجه إليه لكى تأخذ منه المعونة 000

إن الجبال لها تأثيرها الكبير فى حياة الناس الروحية :

فى الكتاب المقدس نرى الجبل له تاريخه الطويل 0وغالبية البركات لها إتصال بالجبال 0السيد المسيح
نفسه له علاقته الواضحة بالجبل 0وما أجمل قول يوحنا الرسول فى إنجيله :
(ومضى كل واحد إلى بيته 0أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون) (يو 7 : 53) 000
كان الرب يقضى غالبية الأوقات فى الجبل ، يسهر فى الجبل ، ويصلى فى الجبل ، يختلى فى الجبل

إن الجبل يعطى للإنسان إنطلاقا فى عبادته :

يا ليتكم تفكرون أن تتمتعوا بالجبال ، وما أروع قول مار إسحق : (إن مجرد نظر القفز ، يميت من
القلب الحركات العالمية) فعندما يعيش الإنسان فى العالم ، ينشغل بمناظر العالم وأخباره وأعماله أما
فى الجبل ، فإذ لا يشغله شئ ، يتفرغ حينئذ لله كذلك الجبال فى علوها تعطى فكرة عن السماوات ،
لذلك يقول المرتل :

رفعت عينى إلى الجبال

إلى أى الجبال رفعت عينيك ؟ فالجبال لها تاريخها العظيم فى الكتاب المقدس 0
*هل رفعت عينيك إلى جبل جرزيم ، جبل البركة ؟ إذ كان ستة أسباط يقفون عنده ، وتتلى البركة
على الشعب من هناك 0
*أم أنت ترفع عينيك إلى جبل الزيتون ، جبل الصلاة والتأمل والإنسكاب أمام الله
*أم أنت ترفع عينيك إلى جبل الجلجثة ؟ وهو يمثل الفداء ومحبة الله للناس إذ

(هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد)
*أم تتجه إلى جبل التجلى ؟ حيث يرى السيد المسيح مع موسى وإيليا وهم فى النور البهى رمزا للمجد الأبدى ! موسى الذى ينوب عن المتزوجين ، وإيليا الذى ينوب عن البتوليين 0موسى الذى ينوب عن الودعاء ، وإيليا الذى ينوب عن الأقوياء 0موسى الذى ينوب عن حياة الخدمة ، وإيليا الذى ينوب عن حياة الوحدة والبرية 0000

- أم أنت تتجه إلى جبل الصعود ؟ حيث نرى فيه المصير الى الرفعة ، عن يمين الآب 0
- أم تتجه الى جبل حوريب ؟ حيث قضى موسى فترة مع الرب ، مشيرا الى حياة العشرة مع الله التى إكتسى فيها وجهه بنور لم يستطع الشعب أن ينظر إليه
- أم تتجه الى جبل سيناء ؟ حيث الشريعة وحيث وصايا الله 0أم الى الجبل الذى ألقى عليه المسيح عظته حيث رفع أفكارنا الى عمق الروحيات
- أم تتجه الى جبل التجربة ؟ الذى يمثل الإنتصار على الشيطان وكل أفكاره 0
- أم تتجه الى جبل أراراط حيث رسا فلك نوح ، رمزا لإستقرار ورمزا للسلام ؟

أنا لم أرفع عينى الى جبل معين 0إنما رفعت عينى إلى الجبال ، الى هذه كلها ، الى كل البركات

كل شخص يقف ليصلى ويقول : (رفعت عينى الى الجبال ، لعل تأملاته تقدم له قصة جميلة عن

كل جبل :

جبل للبركة ، وجبل للشريعة ، وجبل للسلام ، وجبل للسلام ، وجبل للفداء ، وجبل للعشرة مع الله صحيح (أساساته فى الجبال المقدسة) (مز 86 : 1) وصحيح أيضا ما قالته العروس فى النشيد من أنها رأت الرب الإله : (ظافرا على الجبال ، قافزا على التلال) (نش 2 : 8)
يرفع الإنسان نظره إلى الجبال ، بعيدا عن صخب العالم وعن ضجيج العالم وشهواته ، ويسرح فى اللانهائية ، فى الأفق البعيد الذى لا ينتهى ، والذين ينظرون إلى الجبل يكون نظرهم قويا 0نظرنا ونحن فى العالم يضعف لأن بصر الإنسان كل ما يمتد يجد أمامه حائطا يعوقه ويمنع إمتداده إلى قدام أما الذى ينظر إلى الجبال ، فإن نظره يمتد إلى الأفق البعيد ، ويصبح إنسانا قوى النظر بعيده ، يرى من بعيد ، رمزا للرؤية الروحية 00
(رفعت عينى إلى الجبال) هل إلى هذه الجبال كلها ؟ لعل المرتل يقصد الجبال المحيطة بأورشليم ، لأنه يقول فى المزمور بعد ذلك : (الجبال حولها ، والرب حول شعبه) (مز124) وبينما المرتل فى أرض الغربة إلا أنه يشتاق إلى أورشليم ، ويرفع عينيه إلى الجبال المحيطة به 0

وأنت يا أخى ، ألم تحس ذات يوم بالغربة ، وترفع عينيك إلى الجبال ؟ أم أنت ما تزال تنظر

إلى الوادى العميق ، إلى الأرض والطين والمادة ؟

من الآن إرفع نظرك إلى فوق ، إرفع نظرك إلى الجبال من حيث يأتى عونك 000يقينا أن المرتل يدرك تماما من أين تأتيه المعونة 0هو يعلم أن المعونة لا يمكن أن تأتيه من الأرض ، فلذلك رفع نظره إلى فوق وقال :

معونتى من عند الرب

أنا يارب أريد أن أصل إليك ، إننى أنشد هذه الترنيمة من ترانيم المصاعد التى يقولها الناس وهم صاعدون إلى أورشليم 0000
أنت الذى تقدر أن ترشدنى وتوصلنى 000معونتى من عند الرب الذى صنع السماء والأرض

أنا لا أتكل على ذراع بشرى فى أى شئ 0

لأن (الإتكال على الرب خير من الإتكال على البشر الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء) (مز 117) حقا ملعون من يتكل على ذراع بشر ففى كل ضيقة تصيبنى فى العالم أرفع عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى ، لا إلى الناس 0إن ربنا نفسه ، من أجل صالح الناس نظر إلى الناس 0فلم ينظروا إليه !! لذلك قال : (طول النهار بسطت يدى إلى شعب مقاوم ومعاند) (إش 65 : 2)
إن كان الله ينظر إلى الناس فلا يستجيبون له فماذا يفعلون معنا ؟
إن كانوا قد فعلوه بالعود الرطب ، فماذا يفعلون بنا ؟

معونتى من عند الرب 000حتى لو تقدم الناس وعاونونى ، يكون الله هو الذى سخر هؤلاء الناس من أجلى 0

هو الذى تكلم فى قلوبهم من جهتى إنه هو الذى صنع السماء والأرض ، وما تزال فى يده السماء والأرض إن كان يرسل ملاكا لمساعدتى فهو الذى صنع السماء 0وإن كان يرسل بشرا لمساعدتى فهو الذى صنع الأرض

وعندما تقول الذى صنع السماء والأرض ، تتذكر قوة الله

وإن كان عمل السموات والأرض أفلا يستطيع أن يعمل معك عملا ينقذ حياتك ؟! إن معونته غير محدودة 0معونته أكثر مما نحتاج ، وأكثر مما نطلب ، وأكثر مما نتوقع ومما ننتظر 0الذى يتكل على الإنسان قد يخيب إتكاله 0أما الذى يتكل على الرب فلن يخسر 0يقول المرتل :
(أسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع) (أم 13 : 10) بعدما ألقوا دانيال فى جب الأسود أتى الملك (داريوس) إلى الجب باكرا جدا ليرى هل إتكال دانيال على الله إستطاع أن ينجيه وقال له بصوت أسيف :
(يا دانيال عبد الله الحى ، هل إلهك الذى تعبده دائما قدر أن ينجيك من الأسود) (دا 6 : 20)
فأجاب دانيال وقال : (إلهى ملاكه وسد أفواه الأسود) حقا ، إن معونتى من عند الرب

وأنت يا أخى فى كل مشاكلك — روحية كانت أم مادية — قل هكذا أيضا :

(معونتى من عند الرب)

إن تعرضت لحرب من الشياطين ، أو حرب من الناس الأشرار ، قل معونتى من عند الرب 0إن كنت متعبا من خطية ، أو من مشاكل مادية ، قل معونتى من عند الرب 0إن كنت متعبا من أفكار وشهوات ، أو أحلام ، قل معونتى من عند الرب الذى صنع السموات والأرض

إن المرتل عندما قال هذا ، أتته إجابة سريعة (لا يسلم رجلك للزلل فما ينعس حافظك 0هوذا لا ينعس ولا ينام حارس إسرائيل)

أطمئن ، إن الله لا يسلم رجلك للزلل ، أى لا يسمح أن تسقط 0مادمت تقول معونتى من عند الرب فلن يسلمك الرب لأيدى الأعداء 0كثيرون يحاولون أن يجلبوا اليأس إلى نفسك ويقولون ليس له خلاص بإلهه 0ولكن هذا المزمور يعطى رجاءا ويعطى سلاما ، ويعطى إطمئنانا 0لا تخف إذن ، إن حافظك لا ينعس ولا ينام

إن إتكلت على إنسان ، فسيأتى وقت على هذا الإنسان ينعس فيه وينام ، وفى أثناء نومه لا يكون حافظا لك 0 أما الرب إلهك الذى يحفظك فهو لا ينعس و لا ينام 0

إن كنت فى ضيقة ، أوعى تفكر إن ربنا نايم ومش واخد باله 0بل تأكد تماما أن الله يرى كل شئ يحدث ، ويكتب أمامه سفر تذكرة 0

فى إحدى المرات كان تلاميذ المسيح مضطربين فى السفينة وعندما هاج البحر عليهم ، وظنوا أن الرب نائم فى مؤخرة السفينة ! فأيقظوه وقالوا له : (أما يهمك أن نهلك) (مر4 : 35 —40) ولم يكن نائما بل فى ذلك الوقت الذى رأوه فيه نائما بالجسد ، كان بلاهوته يحفظ البر والبحر ، ويسيطر على السماء والأرض 0ولكى يثبت لهم هذا قام وانتهر الريح وقال للبحر :

(إسكت وابكم ، فصار هدوء عظيم)

إن الرسول يقول : إن عدونا مثل أسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه 0فكيف ينام الله وعدونا ساهر على هلاكنا ؟!

بل إن كان العدو ساهرا على هلاكنا ، فيقينا يكون الله ساهرا على خلاصنا

نكون نحن نياما ، والرب إلى جوارنا ساهر علينا ، يحرسنا ويحفظنا 0إن طبيعته لا تنام ، وطبيعته لا تتعب 0وسهره علينا كناية عن عنايته ورعايته ، وعدم تركه لنا ، وعدم تخليه عنا إنما يريدنا الرب أن نسهر معه 0

لا يسلم رجلك للزلل
فما ينعس حافظك

لا يسلم رجلك للزلل ، لا يجعلك تعثر فى الطريق 0بل حتى إن وقعت من على الجبل ، يوصى ملائكته بك ، على أيديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك (مت 4 : 6) فليكن قلبك شديدا من الأسباب التى تجعلنا نسقط فى الخطية ، يأسنا وشعورنا بأننا لابد سنسقط 0مثل شخص يقول : (لا فائدة من جهاد فكلما أتوب أقع ثانية) وهكذا فإن شعوره بأنه سيقع فى الخطيئة يجعله لذلك فليتشدد قلبك الرب يقول لك ما قاله من قبل لإرميا النبى : (لا ترتع من وجوههم لئلا أريعك أمامهم هاأنذا قد جعلتك اليوم مدينة محصنة 0000) (إر 1 : 17 : 18)

إن الله لا يسلم رجلك للزلل سواء فى هذا الدهر أو فى الدهر الآتى 0

وفى هذا المعنى يقول المرتل : (إرجعى يا نفسى إلى موضع راحتك لأن الرب قد أحسن إلى ، وأنقذ نفسى من الموت ، وعينى من الدموع ، ورجلى من الزلل) (مز 116 : 7 : 8) ولأنه أنقذ رجلى من الزلل تستطيع نفسى الآن أن ترجع إلى موضع راحتها بسلام 0

إن الله يسلم رجلك للزلل ، طالما حياتك فى يده 0

أما إن أسلمت بنفسك رجليك للزلل ، فإن هذا يكون عمل إرادتك وحدك 0إن الله مستعد أن يعينك ، ولكن علينا ألا نهلك أنفسنا بأنفسنا 0

الرب يظلل على يدك اليمنى

لماذا قال اليد اليمنى ؟

إن اليد اليمنى ترمز دائما للقوة ، كما ترمز للبر 0

وعندما نقول إن المسيح جلس عن يمين الآب ، إنما نعنى أنه جلس فى قوة الآب 0ولم يعد محتقرا أو مخذولا من الناس 0وهذا هو المقصود بيمين الآب لأن الله إذ هو غير محدود ، ليس له يمين ولا شمال ، بل هو مالئ الكل 0

اليمين إذن ترمز للقوة وبهذا المعنى قال داود : (يمين الرب صنعت قوة 0يمين الرب رفعتنى فلا أموت بعد بل أحيا) (مز 117) وفى سفر الرؤيا سجل يوحنا الحبيب أنه رأى الرب ممسكا فى يمينه السبعة الكواكب ، أى ملائكة السبع الكنائس (رؤ 2 : 16 ، 20) أى أنهم محفوظين فى قوته

فعندما يقول لك الوحى فى المزمور : (الرب يظلل على يدك اليمنى) إنما يعنى أن الرب يظلل على قوتك 0أى أن الرب أعطاك قوة لتنتصر وهو يحفظك فيها 0

إن الرب أعطاك سلطانا أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو 0لكن قوتك وحدها لا تكفى ، فلابد أن تكون فى رعاية الله وحفظه ، يظلل عليها أى يحفظها ويحميها ، فلا تضربها الشمس بالنهار عندما قدم يوسف ابنيه أفرايم ومنسى إلى أبيه يعقوب ليباركهما ، وضع يعقوب يمينه على رأس أفرايم الصغير ويساره على رأس منسى 0وضع يديه بفطنة وباركهما 0ولما إستاء يوسف من هذا ، لأن أباه وضع يمينه على الابن الصغير وأراد أن يعكس الوضع ويجعل اليمين على البكر منسى ، أجابه يعقوب : (علمت يا أبنى علمت 000ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه)

(تك 48 : 13 — 20) حقا إن وضع يديه عليهما أعطاهما بركة 0ولكن اليمين له بركة خاصة أكبر 0وهكذا نقول للرب عن الكنيسة : (الكرمة التى غرستها يمينك) ولم نقل يدك ، لأن اليمين لها قوة خاصة من حيث الرمز 0وفى حفظ الله لنا ، لم يقل فقط لا يسلم رجلك للزلل ، وإنما قال أيضا يظلل على يدك اليمنى 00

فما معنى كلمة يظلل

الظل يعنى الرعاية ، فقديما كانوا يعيشون فى الجبل وفى البرية تؤذيهم الشمس ويتعبهم الحر فلابد أن يحتاجوا إلى ظل ليحميهم 0ولذلك نحن نقول لله : (وبظل جناحيك أعتصم) (مز 17 : 8) كالدجاجة التى تظلل على صغارها بجناحيها 0
ومن أحسن الأمثلة للتظليل بقصد العناية والرباية ، مثل يونان النبى الذى لما ضربته الشمس فذبل أعد له الرب يقطينة لتكون ظلا على رأسه لكى يخلصه من غمه (يون 4 : 6) ولما تكلم الرب عن عظمة حبة الخردل قال :(إنها تصير شجرة عظيمة تتآوى تحت ظلها جميع طيور السماء) (مر 4 : 32)

إذن فالظل يعنى الحماية والرعاية والشفقة 0

وبذلك نقول فى المزمور : (الساكن فى ستر العلى ، فى ظل القدير يبيت) (مز 91 : 1) وتقول العروس فى النشيد : (تحت ظله إشتهيت أن أجلس) (نش 2 : 3) أى فى حمايته ورعايته
ومن الأمثلة اللطيفة أنه قيل للسيدة العذراء فى البشارة :
(الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك) أى ترعاك وتحميك ، وتحفظك ، كما كانت السحابة تظلل على الشعب فى البرية 0

فافرح يا أخى إذن بعناية الرب ورعايته : رجلك لن يسلمها للزلل ، ويمنيك يظلل عليها ،

تعيش فى رعايته وتحت ظله 0 يظلل على يدك اليمنى ، فكل ما تمتد إليه يدك تنجح فيه 0

هذا المزمور يسميه البعض مزمور الحفظ 0كلمة الحفظ وردت فيه ست مرات :
(الرب يحفظك 0000الرب يحفظك من كل سوء 0الرب يحفظ نفسك 00الرب يحفظ دخولك وخروجك) 0حقا إن حافظ الأطفال هو الرب 0فاحتفظ بطفولتك وضعفك أمام الرب لكى تحل عليك قوته 0كن كطفل عاجز يلجا لأبيه السماوى ويستظل بجناحيه ، ليحفظك الرب من كل سوء ، ويظلل على يدك اليمنى 0

فلا تضربك الشمس بالنهار و لا القمر بالليل :

معروف أن الشمس تضرب بالنهار 0يونان ضربته الشمس فذبل وطلب لنفسه الموت 00والقمر بالليل يقول العلماء إن له ضربات هو أيضا 00
ولكن من الناحية الروحية (لا تضربك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل) معناها لا تقوى عليك حروب النهار ، ولا حروب الليل ، لا أفكار النهار ولا أحلام الليل ، لا مناظر النهار ولا خيالات الليل 0
(لا تضربك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل) أى

لا تقوى عليك الأمور التى تحدث فى النور ، ولا الأمور التى تحدث فى الظلمة 0

الأمور التى ترى علانية 0والأمور التى تدبر فى الخفاء 0الأعداء الظاهرون ، والأعداء المختفون 0
(لا تحرقك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل) أى يحفظك الرب وأنت نائم 0هو معك فى النهار وفى الليل أى طول ساعات اليوم ساعات اليوم

لا تخف من ضربة نور ، ولا من ضربة ظلام 0لا تخف من ضربة يمين ، ولا من ضربة شمال 0

الرب يحفظك من كل سوء

(الرب يحفظك من كل سوء ، الرب يحفظ نفسك) هذا هو عمله 0إن الرب قد إنتهى من عمله فى خلق العالم ، وأصبح عمله الآن أن يحفظ العالم 0الرب يحفظك ، فلا تخف إذن ولا تشك 0ولا ترتعب إنما عش مطمئنا ، شاعرا أنك لست واقفا وحدك 0

هذا المزمور ينفع المسافرين ، وينفع الذين يسيرون فى الظلام 0أو فى طريق مرعب يخافون منه يمكنهم أن يرددوا هذا المزمور : (الرب يحفظك ، الرب يحفظ نفسك ، الرب يحفظك من كل سوء ، الرب يحفظ دخولك وخروجك) كلها حفظ 0نصيحتى لكم إذن أن تحفظوا المزامير لكى تحفظكم المزامير هذا المزمور مصدر كبير للتعزية 0هناك مزامير يمكن أن تصلوها وقت الغروب ، ومزامير تصلونها وقت النوم 0000000أما هذا المزمور فيمكنكم أن تصلوه فى كل حين 0

الرب يحفظك من كل سوء 0لا يبعد عنك التجارب ، ولكن يحفظك أثناء التجربة 0 التجارب

موجودة ، والشرور موجودة ، ولكن الرب يحفظك من كل سوء

الثلاثة فتية ، سمح الرب بالقائهم فى النار ، ولكنه حفظهم داخل النار 0إنه لم يبعد عنهم التجربة فألقوهم فى الآتون ، وسار معهم داخل الآتون (دا 3: 25) ما دام الأمر هكذا ، فأنا يارب لم أعد أهتم بشئ 0حتى لو ألقيت داخل النار ، سأراك معى كما حدث للثلاثة فتية 0لاحظوا أيها الإخوة أن الرب لم يكن معهم فقط ، وإنما أكثر من كل هذا (لم تكن للنار قوة على أجسامهم ، وشعرة من رؤوسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير ، ورائحة النار لم تأت عليهم) (دا 3 : 27)

ودانيال النبى ، لم يمنع الله القاءه داخل الجب ، لكنه أرسل ملاكه فسد أفواه الأسود 000حقا إن الرب يحفظ نفسك ، يحفظك من كل سوء

ويونان النبى ، سمح الرب للحوت أن يبتلعه ، ولكنه وهو فى جوف الحوت كانت هذه العبارة ترن فى أذنيه : (الرب يحفظ نفسك ، الرب يحفظ دخولك وخروجك)

الرب يحفظ دخولك وخروجك

وهكذا حفظ الرب دخوله فى بطن الحوت ، وحفظه فى خروجه من بطن الحوت أيضا 0فما قدرت عليه أسنان الحوت ولا أمعاؤه ولا شئ من أعضائه 0

كذلك الثلاثة فتية حفظ الرب دخولهم إلى النار ، وحفظ خروجهم منها 0ودانيال النبى حفظ دخوله فى جب الأسود حفظ خروجه أيضا

كذلك أنت أيضا : إن دخلت فى ضيقة من الضيقات ، قل لنفسك الرب يحفظ دخولك وخروجك

يحفظنى فى دخولى إلى الضيقة ويحفظنى فى خروجى منها 0وإن كنت ذاهبا إلى عمل معين ، أو مقابلة أناس مهمين ، قل لنفسك : (الرب يحفظ دخولك وخروجك) وأنت خارج من بيتك ،

(الرب يحفظ دخولك وخروجك)

عمل الله هو أن يحفظك 0ولكن ليس معنى هذا أن تضيع نفسك 0لا ترم نفسك من على جبل لكى ما تحملك الملائكة 0

صل باستمرار قائلا : (لا تدخلنا فى تجربة) ولكن إن دخلت فالرب يحفظ دخولك وخروجك 0 وبولس الرسول دخل السجن ، وكذلك بطرس الرسول دخل السجن ، ودخل معهما أيضا هذا المزمور يرتل به ملاك فى أذن كل منهما قائلا : (الرب يحفظ دخولك وخروجك)

فمهما دخلت فى ضيقة ، ثق أن الرب سيدخل معك ويخرجك منها 0

كما كان الرب مع نوح عندما دخل الفلك وحفظ خروجه منه أيضا 0 وكما حفظ موسى فى بيت فرعون ولم تقو عليه الديانة الوثنية ، وكما حفظ يوسف فى بيت فوطيفار ولم تقو عليه الخطية ، وكما حفظ حزقيال ودانيال فى أرض السبى 0كما حفظ الرب هؤلاء هو أيضا يحفظ نفسك 0

وعبارة (الرب يحفظ نفسك) فيها تعزية كبيرة 0حتى أن تعب الجسد ، تظل النفس محفوظة

وهكذا حدث لأيوب الصديق ، الجسد ضرب بالأمراض ، ولكن الرب حفظ نفس أيوب فلم يقدر عليها الشيطان ، وكذلك الشهداء والمعترفون كانت تقطع أعضاؤهم ، أما نفوسهم فكانت محفوظة فى يد الرب 0

إطمئن فأنت فى يمين الرب وفى حفظه ، نفسك على كفه ، ومن يمسك يمس حدقة عينه 000حتى الإبن الضال وهو فى كورة بعيدة كان الرب يحفظ نفسه ، وكذلك الخروف الضال حفظه الرب فى دخوله وخروجه 0

عبارة (يحفظ دخولك وخروجك) يمكن أن تعنى دخولك إلى العالم وخروجك منه ،

ويكون معناها أن يحفظك فى حياتك ومماتك ، ويكون المعنى شاملا 0

وقد تعنى أيضا بداية عمل ونهايته 0وقد قيلت هذه العبارة أيضا فى قائمة البركات فى سفر التثنية إذ قيل : (مباركا تكون فى دخولك ومباركا تكون فى خروجك) (تث 28 : 6)

يحفظ دخولك وخروجك من الآن وإلى الأبد ، أى لا يحفظك فى هذا العالم فقط ، وإنما فى طريق الأبدية أيضا

فعندما تخرج روحك من هذا الجسد (بعد عمر طويل)

الرب يحفظ خروجك ، ويحوط عليك من الشياطين أحسن يستلقطوك فى السكة ، كما جروا وراء روح القديس مقاريوس الكبير ، ويظل يحافظ عليك إلى أن تدخل الفردوس 0

وحتى بعد أن تدخل الفردوس ، الرب يحفظ دخولك وخروجك 0

لعلك تقول : وما الذى سيخرجنى من الفردوس ، أنا لست مثل آدم المسكين ؟ كلا ، يا أخى فالفردوس مجرد مكان إنتظار ، سيخرج منه الأبرار لينتقلوا إلى النعيم الأبدى فى أورشليم السمائية وعندما تدخل ذلك النعيم ، يكون حينئذ دخولا بلا خروج فيحفظ الرب دخولك إلى الأبد 000

فهرست

صفحة

تصدير 0000000000000000000000000000000000 5

إليك رفعت عينى يا ساكن السماء 00000000000000000 7

إليك يارب صرخت فى حزنى 00000000000000000000 47

رفعت عينى إلى الجبال 000000000000000000000000 81